❁ الاستشراق الجديد والقرآن الكريم: برنارد لويس نموذجا

أ.د. /شافية صديق، أستاذ الأديان والفكر الإسلامي والاستشراق
جامعة الجزائر–1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية
charifamoussa@yahoo.fr

ص. 41 – 92

ملخص:

يعد برنار لويس نموذجا محوريا في الاستشراق الجديد، والرمز الذي صُنِع ليرفع على المنصات الأكاديمية والسياسية والإعلامية كخبير تاريخي لشؤون العالم الاسلامي، ومخطِّط استراتيجي لتفتيت الإسلام من خلال أفكاره التي تصف الإسلام أنه غير متوافق مع الحداثة والديمقراطية من جهة، ومن خلال دراساته التي لم يعد القرآن فيها محورا مركزيا خلاف الاستشراق الكلاسيكي.

وبهذا تغيرت خارطة وتضاريس أدبيات الاستشراق الجديد بوجهه الإعلامي وهو ما سمي بالاستشراق الإعلامي الذي هو أوسع انتشارا وأكثر تأثيرا.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق الجديد، القرآن، برنارد لويس، الاستشراق الإعلامي

Summary:

Bernard Lewis is considered a pivotal model in the new Orientalism, and the symbol that was made to be raised on academic, political and media platforms as a historical expert on the affairs of the Islamic world, and a strategic planner to fragment Islam through his ideas that describe Islam as incompatible with modernity and democracy on the one hand, and through his studies that are no longer The Qur'an has a central axis, unlike classical Orientalism.

Thus, the map and terrain of the literature of the new orientalism in its media face changed, which is called media orientalism, which is more widespread and influential.

Keywords: New Orientalism, the Qur'an, Bernard Lewis, media Orientalism.

تمهيد:

برنارد لويس شخصية محورية في الاستشراق الجديد وشخصية صنعت شهرتها أيضا وسائل الاتصال بمختلف أنواعها.

إنتمائه لتيارات مؤثرة في السياسة العالمية جعل إسمه مرجعا لدراسات ومواقف سياسية وفكرية عديدة حول العالم الإسلامي فهو مستشار سياسي وخبير تاريخي ومفكر استراتيجي ومستشرق جمع بين الإنتماء اليهودي والصهيوني والإنجليزي والأمريكي.كما جمع بين الاستشراق الأكاديمي والاستشراق الإعلامي.

دراسة القرآن في كتابات المستشرقين الجدد يختلف عن الفترة الكلاسيكية وإذا كانت المدارس الأوربية (الألمانية والفرنسية خصوصا) أكثر المدارس تركيزا على المواضيع القديمة الخاصة بالقرآن بإتجاهها المعروف فإن القرآن في الاستشراق الأمريكي وبالضبط مع برنارد لويس لم يعد محورا مركزيا دون أن يعني هذا عدم التطرق إلى محاور عن القرآن في سياق الدراسات والآراء المبثوثة عبر الكتب والدراسات والمقالات واللقاءات الإعلامية.

الاستشراق الأمريكي الجديد أخذ دورا ريياديا كما أخذت الولايات المتحدة الأمريكية دورها الجديد في العالم كوريثة لأوربا الإستعمارية القارة العجوز، ومع هذه التحولات الجديدة انتقل الكثير من علماء أوربا والعالم إلى المركز الحضاري العالمي الجديد وأنتج هذا المركز الجديد بناءه الفكري بما في ذلك مدرسته الاستشراقية التي تختلف عن سابقاتها بداية بالإسم الذي استبدل بعناوين أخرى إلى المحاور التي أصبحت أقرب إلى العلوم الاجتماعية خصوصا الاقتصاد والسياسة.

حرب الشبهات:

ذكر القرآن الكريم بعض شبهات الكفار حول القرآن والتي رددها المستشرقون عبر تاريخهم ومدارسهم، ومنها ما جاء في الآيتين **4** و**5** من **سورة الفرقان:** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ ﴾

وفي الآية 103 من سورة النحل: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

وفي الآية 49 من سورة هود: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

وفي الآية 102 من سورة يوسف: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

وفي الآية 44 من سورة آل عمران: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

وبرأ الله عزّ وجل الرّسول الأمين عليه الصلاة والسلام كما برأته الأدلة العقلية التي بينت استحالة تحقق تلك التهم باعتبار البيئة التي عاش فيها عليه الصلاة والسلام من الناحية الفكرية والروحية، وباعتبار الأنباء التي وقعت لاحقا وتؤكد ألوهية المصدر المعصوم.

قراءة في هذه الشبهات على ضوء مصادرات الاستشراق بكل أنواعه تؤكد الدور الرسالي للباحث في علوم القرآن المعروفة والتي يجب أن تحين بناء على المستجدات فدراسة المخطوطات والصفحات والحفريات وغيرها من المحاور الملحة في عصر تنتشر الشبهة ومرتكازتها بطرق مستفزة للعقائد أحيانا فأصبح فرض عين عليهم لتحصين عقول المسلمين التي قد تربكها تلك الشبهات خصوصا وأنها تعتمد على ما هو مبثوث في كتب المسلمين والمتوفرة اليوم إلكترونيا على مواقع إسلامية لا يُطعن في مصداقيتها.

يقول إسماعيل أحمد الطحان: "المسلمون يروون كل هذه الروايات آخذين أنفسهم بأمانة النقل غير مبالين بما بينها من تناقض أو مجافاة للعقل والمنطق ولم يكن نقد المتن والسند على الرغم من الإلتزام به منهجا في بحوث التشريع ذا أثر واضح في عرض القرآن، ومن ثم وجد خصوم الإسلام فرصتهم في تساهل المسلمين في عرض هذا التاريخ حيث ساقوه دون نقد الأخبار والرواة، فأثار المستشرقون بمنهجهم الاستشراقي الذي يقوم على جمع الآراء والظنون والأوهام شبهات حول القرآن، تحاول أن تجتث أصوله لتأتي على قواعد هذا

الدين وهم قد نصبوا أنفسهم للقضاء عليه. وكم كان حريا بالمسلمين أن يدركوا خطر هذا التاريخ فليس تاريخ كتاب فحسب بل وتاريخ دين وليس تاريخ دين فحسب بل وتاريخ حضارة استوعبت البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها تاريخا تاريخا[1].

الاستشراق على امتداد تاريخه وبتنوع مدارسه شهد هجوما على القرآن من مستشرقين لم يكن الغرض العلمي هو دافعهم دائما وهو موقف ينسجم مع موقف الغرب عموما من الدين الإسلامي لذلك يرى عبد الرحمان بدوي أن القرآن:

تعرض باعتباره الرّكيزة الأساسية للإسلام لهجمات كثيرة من الذين كتبوا ضدّ الإسلام سواء في الشرق أو في الغرب وذلك بدءا من القرن الأول الهجري، السابع الميلادي حتى الآن بداية من يوحنا الدمشقي حوالي 650-750 بتوجيه انتقاداته على النسق العام للقرآن، ثم تبعه في ذلك أثيميوس زيجابينوس في كتابه العقيدة الشاملة. وكان هناك هجوما معتديا على القرآن في أعمال نيكيتاس البيزنطي في مقدمة كتاب: "نقد الأكاذيب الموجودة في كتاب العرب المحمديين"، وأكبر هجوم جدلي على القرآن والإسلام هو ما قام به إمبراطور بيزنطة جان كنتاكورين في كتابيه: "ضد تمجيد الملّة المحمديّة" و"ضد الصلوات والتراتيل المحمديّة"، وكان هذا في الشرق وباللّغة اليونانية. وهناك هجوم على القرآن باللّغة السريانية والأرمينية والعربية. وبسقوط القسطنطينية في يد المسلمين (1453) توقف الهجوم البيزنطى على القرآن والإسلام وتولت أوربا المسيحية الأمر من بعد، فبدأ الكاردينال نيقولا ديكوزات (1464) نشر أكاذيبه عن القرآن[2].

تنوع المنصات المستخدمة في الهجوم على القرآن من رجال الدين والساسة والكتّاب المتخصّصين في علوم الديّن، دليل على وجود اتفاق غير مكتوب على تجريد القرآن من قدسيته في مكتبة الكتب الدينية المقدسة، وهذا ضرب قاتل في الدين كله.

---

[1] إسماعيل أحمد الطحان: تاريخ القرآن بين تساهل المسلمين وشبهات المستشرقين، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا . ص267

[2] عبد الرحمان بدوي: دفاع عن القرآن ضد منتقديه: ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، (د.ت)، ص5

في الأزمنة المعاصرة يوجد تراكم كبير للدّراسات حول مواضيع مُتعلّقة بالقرآن كلغته، وأسباب النّزول، وترتيبه، وقراءاته، وغيرها، وقد أحصى عُلماء المسلمين الكثير من تلك الدّراسات، وتم التّصدي لها بالتّحليل والنّقد العلميّين.

في تتبع خريطة التّأليف حول القرآن الكريم، يقول عبد الرزاق هرماس[3]: "أغزر المستشرقين كتابة وتأليفا عن القرآن خلال الرّبع الأوّل من القرن الخامس عشر هو الفرنسي[4] كلود جيليو Claude Gilliot فبعد مناقشته لأطروحة الدكتوراه (السلك الثالث) في تفسير الطّبري بجامعة باريس الثالثة، في يونيو 1982، ثم دكتوراه الدّولة في نفس الموضوع، إنتقل إلى التّفسير ورجاله. ومن ضمن منشوراته:

- مقاتل بن سليمان مفسر أثري وأصولي مجرح.
- لمحات عن التفسير والمفسرين.
- تفسير القرآن لهود بن محكم الهواري.
- الأكاذيب الثّلاث لإبراهيم في التّراث التّفسيري الإسلامي.
- إعادة بناء نقديّة للقرآن[5].

يؤطر هؤلاء المستشرقون أيضا باحثين من العالم الإسلامي ينشرون بدورهم أفكارا لا تخرج عن أطر الإستشراق.

---

[3] عبد الرزاق هرماس: الدراسات القرآنية عند المستشرقين، مجلة البحوث والدراسات القرآنية التابعة لجمع الملك فهد، ع. 6 السنة الثالثة.

[4] برنارد لويس درس في فرنسا لفترة وتتلمذ على المستشرق الفرنسي الكبير لوي ماسينيون وكتب برتراند لويس تترجم بانتظام إلى اللغة الفرنسية مع تكييف خاص للمتلقي باللغة الفرنسية.

[5] هناك رصد لأهم كتاباته ودراساته على المواقع المتخصصة وأصبح كتابه Le coran الصادر عن سلسلة "que sais-je" من الكتب الأكثر مبيعا.

مثلا: Page personnelle sur Academia.edu

يمكن تتبع ما ينشره François DEROCHE كتابة وفيديو أيضا.

الاستشراق ومعرفة التراث:

عاش العالم الإسلامي مرحلة خطيرة من عدم التوازن وفقدان الثقة في الذّات تعبّر عنه كلّ تلك الحملات لإدانة إنتاج المستشرقين جملة وتفصيلا، لإرتباط الظّاهرة الاستشراقية بظاهرتيّ الاستعمار والتّنصير، فكانت تلك الإدانة نوعا من تحصين الذّات الهشّة غير القادرة على الغربلة، ولكن بعد تلك المرحلة استيقظ العقل المسلم من صدمته رويدا رويدا وقرأ معرفيا وحضاريا الحكمة القرآنية: سورة المائدة، الآية 8: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾

يقول مازن مطبقاني: "وما كنّا لنعرف الكثير من الكتب التّراثية المهمّة في التفسير وفي التاريخ إلاّ بتحقيقات المستشرقين، وعندما تدرس سير المستشرقين تدرك كم كان لديهم من الدّأب والصّبر والجلد والتّحمل والغوص في الكتب، وإنفاق العمر، بل إنّ بعضهم أنفق أمواله من أجل هذا العلم ولم يكن ليخدم إمبراطورية أو حكومة، وإنّما كان مترهّباً في محراب العلم"[6].

ومن النّماذج لذلك ما نجده على لسان الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي صاحب: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.

الشيخ عبد الباقي كلفه الشيخ رشيد رضا بترجمة كتاب: "مفتاح كنوز السّنة" للمستشرق "أي فنسك"، وهو معجم مفهرس عام وتفصيلي للأحاديث النبويّة المدوّنة في كتب الأئمّة: البخاري، ومسلم، وأبي داود، والتّرمذي، والنّسائي، وابن ماجة، والموطّأ، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، ومسندي زيد بن علي وأبي ذاود الطيالسي، وطبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام، ومغازي الواقدي، وذلك لما لتلك الطّريقة من جدّة (وقد حلّل ونقد العلماء المسلمون هذا الكتاب لاحقا).

[6] موقعه الرسمي

يعد المستشرق الهولندي فنسك صاحب أوّل معجم مفهرس لألفاظ الحديث النبوي المبوّب على أساس الحروف.

كما قام الشيخ عبد الباقي بترجمة كتاب: تفصيل آيات القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي جول لابوم.

يقول الشّيخ فؤاد عبد الباقي في مقدمة كتابه: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: "إذا كان خير ما أُلّف وأكثره استيعابا في هذا الفنّ دون منازع ولا معارض هو كتاب: نجوم الفرقان في أطراف القرآن للمستشرق فلوجل الألماني"[7].

واليوم دراسات إحصائية وتحليلية لإنتاج المستشرقين تسمح بنظرة أكثر توازنا، يذكر منها على سبيل التأكيد ما أنجزه علي بن إبراهيم نملة ومازن مطبقاني من السّعودية.

ولم تعد الرّيبة تمنع الباحثين المسلمين من قراءة واعية لمعلومات مفتاحية كتلك الصّادرة عن المستشرق الهولندي الأمريكي "ادوارد كرنيليوس" فانديك في كتابه: "اكتفاء القنوع بما هو مطبوع"

وقد تبيّن أنّ 75% من المخطوطات العربيّة موجودة في أوربا إلى غاية 1896.

وأنّ عدد المخطوطات العربيّة حسب أبي بكر بن عبد الله أبو زيد يقارب 3 ملايين.

ويرى عبد العظيم الديب أن 43 % من المنشور من المخطوطات يدور حول التصوّف، والفلسفة، وعلم الكلام. ولهذا العدد قراءات مختلفة.

وحتى مع الإعتراف بخطورة سرقة المستشرقين للمخطوطات، فإنّ هناك جانبا حزينا اعترف به المسلمون: مادام السّارق يحترم المخطوطات ويحرص على صيانتها ويُقدّر قيمتها العلميّة في خدمة الحضارة الإنسانية، كما يمكن الحصول على مصورات منها، وفي المقابل في العالم الإسلامي يتعذّر الحصول على المخطوطة أو صورة منها في كثير من المكتبات العربيّة وحتى مع الإعتراف بخطورة سرقة المستشرقين للمخطوطات، فإن هناك جانبا حزينا اعترف به

[7] مقدمة الكتاب

المسلمون: مادام السّارق يحترم المخطوطات ويحرص على صيانتها ويُقدّر قيمتها العلميّة في خدمة الحضارة الإنسانية، كما يمكن الحصول على مصورات منها، وفي المقابل في العالم الإسلامي يتعذّر الحصول على المخطوطة أو صورة منها في كثير من المكتبات العربيّة إلا أن تظهر كلّها لمن يجيز لنفسه أن يرشو أحد القائمين عليها،كما هي ولا يعلم مصيرها بعد ذلك، إذ أنّها مسجّلة في فهارس المكتبة وليست موجودة على الرفوف، وليست في سجلاّت الإعارة أو يبسط بها على قارعة الطريق، أو تمزق تكون وعاء لنقل المادّة المشتراة من الحلوى والبقول والحبّ وغيرها[8].

ويورد علي نملة قول كرد علي: "لولا عناية المستعربين بإحياء آثارنا لما انتهت تلك الدّرر الثّمينة التي أخذناها من طبقات الصّحابة وطبقات الحفاظ ومعجم ما استعجم وفتوح البلدان وفهرست ابن نديم ومفاتيح العلوم"[9].

يمكن إيجاز أهم إسهامات المستشرقين في خدمة التراث في:

1-البحث عن المخطوطات والرحلة إليها وجمعها ونقلها وحفظها وصيانتها.

2-فهرسة المخطوطات وتوثيقها وضبطها وراقيا ووعائيا أو ببليوجرافيا وربما تكشيفها وتلخيصها.

3-تحقيق كتب التّراث بالإضافة الى نسخ بعض المخطوطات وتحريرها أو تصويرها أو نشر اقتباسات من بعضها

4- الدراسات حول التّراث مع العناية بالمعاجم

5-ترجمة التراث إلى اللغات الأوربية[10].

[8] أنظر مثلا: علي بن ابراهيم النملة : إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1416، ص20-21

[9] نفسه ص- ص24

[10] نفسه من ص25 إلى ص27

وذهب نجيب العقيقي إلى نفس الإستنتاج من الرؤية المتوازنة لإنتاج المستشرقين فهم قد: جمعوا وصانوا وفهرسوا المخطوطات وطبقوا أحدث المناهج في دراستها رغم حالات بعضها المزرية مع الحرص على مقارناتها والبحث عن أصولها مهما كلّف ذلك من جهد ووقت ومال وسفر[11].

كما أنهم: أخرجوا تلك المخطوطات في كتب محققة تملأ المكتبات وترجموا معظمها إلى لغات أخرى تعرَّف العالم من خلالها على إبداع المسلمين.

من الأمثلة: تفسير البيضاوي والسّيرة لإبن هشام ومن المخطوطات التي أخرجها المستشرقون ضمن شروط علميّة دقيقة. لكن عندما أراد بعض المسلمين إعادة تحقيقها جاءت مشوّهة وغير علميّة[12].

ويؤكد علي النملة في تتبع أبعاد الإشكاليّة السابقة: "من تقاليدهم تنقيح الطّبعات اللاّحقة وتصحيح القديمة والاستدراك عليها بناء على ما يُكتشف من مخطوطات وما يتم الوصول إليه من بحوث جادّة، وهناك مصادر أساسية لم ينفض الغبار عليها إلاّ المستشرقون"[13].

القرآن هو مركز الإسلام ولم يخف ذلك على المستشرقين الذين ترجموا معانيه وأعادوا ترتيب سوره ودرسوا مضامين آياته من عدة مداخل منهجيّة ومعرفيّة، وأثاروا الكثير من الشّبهات التي مازال العقل المسلم يلاحقها بما تقتضيه حروب اليقين الضّروس.

الاستشراق الانجليزي:

برنارد لويس هو الرّمز الذّي صُنع ليُرفع على المنصّات الأكاديمية والسياسية والإعلامية كخبير تاريخي لشؤون العالم الإسلامي ومخطط استراتيجي لمستقبل هذا العالم لكف شروره عن العالم المتحضّر، وهو صاحب مشروع تفتيت العالم الإسلامي الساري المفعول.

---

[11] نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص1128 .

[12] نفسه ص1129.

[13] علي بن ابراهيم النملة: المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2003 .

كتاباته أقل عمقا من كتابات المستشرقين الكلاسيكيين وموقفه من القرآن من المهم جداً تتبّعه ودراسته عبر تصريحاته ومقالاته وكتبه لأن ما يقوله يتم تلقّفه كشيء مقدّس، وهذا تحدّ حقيقيّ لأيّ دارس، ولكنّه تحدّ يدخل في فرض الكفاية ومن وجوه أخرى فرض عين. برنارد لويس هو المستشرق الإنجليزي نشأة فحمل جينات هذا المكوّن:

تلقىّ الإنجليز الثّقافة الإسلامية عن طريقين:

طريق المتضلّعين كالفيلسوف الإسباني إبراهيم بن عزرا الذي وفد على لندن ودرس فيها في القرن 12م، وطريق العلماء الذين قصدوا صقلية والأندلس. أنشأ الإنجليز كراسي اللّغة العربية والدراسات الشّرقية، وأسّسوا الجمعيات الآسياوية والمجلاّت وبعد حملة نابليون وما فعله علماء الحملة فتحت أبواب السّفر إلى الشرق وتوافد الباحثون والرحالى على الشّرق الإسلامي والهند والصّين وبدأوا يهتمّون أكثر بالدّراسات الاستشراقية[14].

ومن أعلام التّأسيس هذا: السير"توماس آدمز" مؤسس كرسيَّ الدّراسات العربيّة في كمبريدج عام 1632م، و في أكسفورد عام 1636م .

ويذكر نجيب العقيقي أنه من خصائص هذا الاستشراق كونه أوّل وأوثق وأوسع ما عرفته أوربا من استشراق، واتخذ طابعه العلميّ الخالص من خلال العلوم الأساسية في الثقافة الإسلامية: اللغات والآداب والعلوم والفنون والعقائد والتاريخ والجغرافيا، إضافة إلى التّنقيب وكتب الرّحلات[15].

ومن أهمّ المؤسّسات التي أطّرت هذه البحوث: مدرسة الدّراسات الشّرقية والإفريقيّة بلندن، التي تأسست عام 1916 وأُنشأت بناءا على توصيّة اللّجنة الملكيّة للتّعليم الجامعيّ بمرسوم خاص، وأُطلق عليها عام 1930 إسم "مدرسة الدّراسات الشّرقية والإفريقيّة"[16].

---

[14] نجيب العقيقي: المستشرقون، 2/429-430

[15] نفسه، ص 431

[16] نفسه، ص433

يمكن إيراد أهمّ خصائص الاستشراق الإنجليزي الذي لا يختلف في ماهيّته عن مدارس الاستشراق الأخرى فيما يلي:

إمبراطورية بريطانيا الإستعمارية كانت أوسع من غيرها مما جعل الاستشراق الإنجليزي أوسع نطاقاً من ناحية عدد المستشرقين واهتماماتهم، ومع أفول إمبراطوريّة بريطانيا لم ينحسر المدّ الاستشراقي واتّسع نطاق الاستشراق وتعمّقت جهود المستشرقين، وازداد عدد المؤسسات الجامعية ومراكز البحوث المهتمّة بهذه الدراسات. وكان مجلس اللّوردات البريطاني قد ركّز على ضرورة استمرار الإهتمام بالشّرق وتقاليده وعاداته ومشاعره للإبقاء على الإمتيازات التي حقّقتها الإمبراطورية البريطانية[17].

وقد ألّفت الحكومة البريطانية لجنة ثالثة عام 1985م برئاسة السّير "بيتر باركر Peter Parker Sir" قدّمت تقريرها عام 1986م ويتكوّن من خمس وثمانين صفحة وبعض الملحقات اقترحت استمرار دعم هذه الدّراسات لعدّة أسباب، منها دعم السّياسة الخارجيّة البريطانية، والثّاني أنّ بريطانيا تعتمد على التّجارة الخارجيّة، وأشار التّقرير إلى أن انخفاض النّفوذ العسكري يعني أهمية الإستمرار في دعم النّفوذ السّياسي.

وهناك أيضا الصّفة الدّينية التّنصيرية: وهنا لا يختلف الاستشراق الإنجليزي عن غيره، حيث أيضا شارك المنصّرون في الدّراسات الاستشراقية وفي الأعمال التّنصيريّة، وظهر عدد من المستشرقين ذوي الاهتمامات التّنصيرية.

يلاحظ تداخل الأبعاد التّنصيرية والسّياسية والإقتصاديّة بمنحاها الإستعماري تحقيقا لمصالح بريطانيا وقد شرح ذلك آصف حسين:

أقيمت مستعمرات جديدة ووجّه المستعمرون ثقافات جديدة وأديانا وأفكارا جديدة، وكل ذلك كان غريبا بالنّسبة لهم ومن أجل السّيطرة على هذه الشعوب غير الغربية كانت الحاجة ماسّة إلى زيادة المعرفة بثقافاتهم وأديانهم، وقد لبّى الاستشـــراق العلمانيّ هذه الاحتياجات،

[17] نجيب العقيقي: المستشرقون، 435/2

وفُتحت جبهة جديدة ضد الإسلام شارك فيها علماء من النّصارى واليهود وأصبحت آراء المستشرقين من ذلك الحين جزءا أساسيا في الثّقافة الغربيّة[18].

ويضيف ملخّصا: أنّ الاستشراق ساعد الإمبريالية في جعل الإحتلال أمراً مشروعاً حيث اشترك بعض المستشرقين اشتراكاً مباشراً في مساعدة الإدارات الاستعمارية[19] .

أما عن أهم المستشرقين الإنجليز فيمكن ذكر:

النموذج الأول: George sale جورج سيل (1697–1736):

يلخّص عبد الرحمان بدوي في موسوعته أهم اسهامات هذه الشخصية:

اشتهر بترجمته لمعاني القرآن وراجت هذه الترجمة رواجا عظيما طوال القرن الثامن عشر، إذ عنها تُرجم القرآن إلى الألمانية. نشر سيل مع ترجمته مقال تمهيدي تحدث فيه عن تاريخ العرب قبل الإسلام وديانتهم وعن القرآن وقدّم لمحة عن أهمّ الفرق الإسلامية معتمدا أساسا على كتاب بوكوك: لمحة من تاريخ العرب. وكان سيل حسب بدوي بريئا من تعصّب المبشّرين المسيحيين إذ أنه لم ينكر نبوّة النّبي محمد.

اهتم بترجمة عربيّة للعهد الجديد ليقرأها نصارى سوريا، أتقن العبريّة والعربيّة، درس مخطوطات هامّة باللّغات العربيّة والتّركية والفارسيّة، ويرجّح بعض الباحثين أنّ إشاراته في ترجمته لمعاني القرآن إلى تفاسير القرآن الكريم لم تكن مباشرة ولكنه استقاها من مصادر غير مباشرة باستثناء تفسير البيضاوي[20].

ويقول عنه نجيب العقيقي: إشتدّ اهتمامه بالإسلام حتى وصف بأنّه نصف مسلم وأن شروحه وحواشيه ومقدمته على القرآن كان قد حشاها بالإفك واللّغو وتمّ نقلها إلى اللّغة العربيّة[21].

---

[18] آصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام ترجمة مازن مطبقاني: مركز الفكر المعاصر، الرياض، 2013، ص66

[19] نفسه، ص67

[20] عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، ط. 3 جديدة ومنقحة ومزيدة، دار العلم للملايين، 1993، ص358

[21] نجيب العفيفي: المستشرقون، 471/2

النّموذج الثّاني: William muir وليام موير (1815–1905):

يذكر عبد الرحمان بدوي عنه: مستشرق ومبشّر وموظّف إداري إنجليزي. عمل في شركة الهند الشّرقية في الهند، حيث تعلّم اللّغة العربيّة واهتم بالتّاريخ الإسلاميّ، وساند بقوّة جهود التّبشير المسيحي شمال الهند. نشر عام 1856 كتابه: "شهادة القرآن على الكتب اليهوديّة والمسيحيّة" الذي تُرجم إلى اللّغة الأوردية. له كتاب عن القرآن "تأليفه وتعاليمه"، ونشر عدة مقالات في مجلة "كلكتا" بالهند عن تاريخ العرب قبل الإسلام وعن حياة النبيّ حتى الهجرة وعن مصادر السيرة النّبوية وكانت هذه المقالات عونا للمبشرين في الهند وأصدر كتابا ضخما: "حياة محمد" و"تاريخ الإسلام"كما اهتمّ بتاريخ الخلافة وتاريخ المماليك[22].

النموذج الثالث: هاملتون جب Hamilton alexander roskeen gibb (1895–1971):

يلخص عبد الرحمان بدوي مساره بكونه ولد بمصر وتوفّي في أكسفورد ودرس في جامعة أدنبرة متخصصا في اللّغات السّامية، وانتسب إلى مدفعيّة الميدان الملكيّة جنديّا وشارك في حرب بلده ضد إيطاليا وفرنسا. عيّن لاحقا أستاذ اللّغة العربيّة في جامعة لندن. زار العالم العربي دارسا وأقام فترات طويلة به متخصّصا في الأدب العربي، شغل كرسي اللّغة العربيّة في جامعة لندن في مدرسة اللّغات الشّرقية وعمل كمحرّر في دائرة المعارف الاسلامية، ثم انتقل إلى جامعة أكسفورد ثم عيّن أستاذا في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة ثم مديرا لمركز دراسات الشّرق الأوسط في نفس الجامعة. يتوزع انتاج جب بين الأدب العربي والتاريخ الإسلامي والأفكار السّياسية الدّينية في الإسلام.

ويعلق عبد الرحمان بدوي على إنتاجه: شهرته فاقت قيمته العلميّة.

وله مؤلف ضخم بالاشتراك حول النّظم الاجتماعية في تركيا والبلاد الخاضعة للحكم العثماني لم يعتمد فيه على الوثائق والمصادر القويّة.

وهو المشرف على أطروحة برنارد لويس ويتّفق معه في الرّحلة إلى الولايات المتحدة[23]

[22] عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص578 .

[23] نفسه، ص 174 – 175

الاستشراق اليهودي:

باعتبار اليهوديّة دين فإن المستشرقين اليهود كانوا يُعرفون بجنسيّات البلدان التي انتموا إليها، وقد سجلت موسوعات المستشرقين انتماء الكثير من المستشرقين للدّيانة اليهوديّة وربما المرجعية هذه تظهر عند تحليل مضامين دراساتهم وهذا لا يمنع من الرؤية المتوازنة لإنتاجهم فقد لاحظ محمد عبد الرحيم الزّيني أن معظم المستشرقين اليهود:

يتميّزون بالإرادة القويّة والحركة النّشطة والهمّة العالية وارتفاع سقف طموحهم وصراعهم مع مشكلات الحياة وإقبالهم على تعلم اللّغات[24].

والدّليل على ذلك: الانتاج الغزير والتأليف الوفير والكتابة المتميّزة من تحقيق مخطوطات والوصول اليها مهما كلّف ذلك، والعكوف عليها رصدا وفهرسة واخراجا أنيقا[25].

الاستشراق البريطاني هو الأوسع والأكثر تنوّعا لظروف تاريخية وهو الذي سيصدر بعض أبنائه إلى الولايات المتحدة.

الاستشراق ارتبط دائما بالسّياسة والّدين والإقتصاد والمخابرات والجيوش، والمستشرق اليهودي الإنجليزي نموذج لذلك إدوارد بالمر edward henry palmer (1840-1882) الذي درس بتعمّق أعراف وتقاليد منطقة سيناء خدمة مزدوجة للمنحى اليهودي الدّيني لقداسة الأرض عندهم ولخدمة الجيش الإنجليزي في حربه على مصر، وقام بخطط تآمرية مع بعض شيوخ المنطقة. يعد إدوارد بالمر من مترجمي القرآن وبعض كتب التراث إلى اللّغة الإنجليزية، وصاحب مؤلّفات دقيقة حول منطقة سيناء خصوصا شعبها، فقد أنشئت هيئة لاستكشاف فلسطين بغرض اكتشاف الارتباط بين التاريخ المقدس والجغرافية المقّسة وعلاقة ذلك بالكتاب المقدس، وانضم بالمر إلى بعثة علميّة استكشافية لهذا الغرض وكانت مهمّته الترجمة وجمع النّقوش واحصاء أسماء الأماكن من أفواه سكان جزيرة سيناء لإعادة رسم رحلة

[24] محمد عبد الرحيم الزيني: كتاب الاستشراق اليهودي رؤية موضوعية، دار اليقين، القاهرة، 2011، ص265.
[25] نفسه، ص310

بني إسرائيل، وقام برحلات لنفس الغرض إلى القدس ودمشق ولبنان وشبه الجزيرة العربية. نتيجته كانت أبحاثا دقيقة حول أعراف هذه المناطق. عندما أرادت بريطانيا احتلال مصر استعانت به لاقناع البدو بمعاداة مصر لتؤمن بريطانيا الجانب الشرقي من قناة السويس وراح بالمر يدرس أضمن السبل لتأليب البدو عن طريق معرفة نقاط ضعفهم ونقاط قوتهم ورغم شرائه لذمم بعض الخونة إلا أنه وأولئك الخونة قتلهم البدو الوطنيون.

أتقن عدّة لغات بما فيها اللّغة العربية التي قام بتدريسها وقام بفهرسة المخطوطات العربية والفارسية الموجودة في بعض مكتبات الكلّيات البريطانية، وقام بتنقيح ترجمات فارسيّة للكتاب المقدّس.

كلّفه ماكس مولر بإنجاز ترجمة جديدة للقرآن لتنشر في سلسلة كتب الشّرق المقدّسة التي كان مولر يصدرها، وانجز بالمر ترجمته لمعاني القرآن في 1881 وأصبحت هذه الترجمة واسعة الانتشار ومشهورة كتب مقدمتها رينولدالين نيكلسون. (المتخصص في التصوف الاسلامي)[26]

الاستشراق الأمريكي:

الضّلع الثالث في تكوين برنارد لويس هو الاستشراق الأمريكي الذي أصبح برنارد لويس أحد أهم أعلامه.

بعد الحرب العالمية الثّانية خرجت الولايات المتحدة مستفيدة من الوضع الجديد سياسيا وأمنيا واقتصاديا وثقافيا فاستقطبت علماء من تخصصات عديدة استفادوا من تلك الظروف لتطوير أبحاثهم التي ستنسب إلى البلد الجديد.

الاستشراق الأمريكي كعلم ومنهج ورث منجزات سالفه البريطاني لتوافق اللّغة ولهجرة بعض المستشرقين الإنجليز إلى الولايات المتّحدة، مع تشجيع بعض رجال الأعمال والمراكز البحثية الأمريكية لهؤلاء المهتمين بالشرق دراسة ونقدا.

[26] عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، من ص67 إلى ص71.

وكان الشرق مركز اهتمام الولايات المتحدة لموقعه الاستراتيجي وثراء أراضيه فتخصصت مراكز لدراسته بمقاربات علوم الاجتماع والإنسان الحديثة وتحت مسمّيات بعيدة عن الشبه الاستشراقية المعروفة كدراسة المناطق والاقاليم.

الاستشراق في الولايات المتّحدة سطّر اتباعه لهم طريقا لمعرفة العالم الشرقي بداية بالاهتمام باللغة العربية كمعبر لفهم اللّغة العبرية، كما تحالف الاستشراق أأمريكي مع حملات التّنصير من أجل نشر المذهب البروتستانتي وبالتالي الصّفة الدينية كانت لصيقة بالاستشراق الأمريكي منذ بواكره الأولى، وكانت الشّخصية الأبرز في هذا الإتجاه هي صموئيل زويمر المولود في 1867 ودرس اللاهوت والحقوق ويلقبه البعض الرّسول إلى الإسلام. وبدأ نشاطه التّنصيري في العراق والبحرين وكان عضوا في البعثة التّنصيرية في السّعودية وجال مبشّراً آسيا الصغرى وسجل حضوراً في حملات التّبشير في مصر وغيرها. وكان حقده على المسلمين ظاهرا في الملتقيات التي تعقد حول تنصير المسلمين بل أّه استحثّ بريطانيا مثلا أن تكون أكثر قسوة مع المسلمين خدمة لهدفه من إذلال المسلمين.

إلى جانب عمله الميداني النشيط كتب زويمر كتبا ذات طابع استشراقي منها:

- عقيدة المسلمين في الإله.
- العالم المحمدي اليوم.
- العربية السعودية مهد الإسلام.
- إخواتنا المسلمات.
- الطفولة في العالم الإسلامي.
- قانون الردة في الإسلام[27].

[27] لا يخل كتاب عن التنصير من ذكر هذه الشخصية بعض كتبه موجودة على الشبكة بلغتها الأصلية وبعضها مترجم إلى اللغة العربية كما توجد دراسات هامة عنها كما حملت بعض الهيئات اسمها اعترافا بإنجازاتها في حقل التبشير خصوصا بين المسلمين .

يذكر مازن مطبقاني أن:

وزارة الدفاع الأمريكية بدأت باستصدار قانون يخولها الإنفاق بسخاء على برامج الدّراسات العربيّة والإسلاميّة وبرامج دراسات الشرق الأوسط في الجامعات الأمريكيّة، وفي مراكز البحوث والمؤسّسات العلميّة المختلفة، واستعانت في هذا الأمر بمجموعة من المستشرقين الأوروبيين الذين تركوا بلادهم إلى العالم الجديد لأنهم أدركوا اهتمام أمريكا بخبراتهم. وانتشرت مراكز الدّراسات العربيّة الإسلامية وأقسام الشّرق الأوسط في الجامعات والمعاهد العلميّة الأمريكيّة، وأصبحت هذه المراكز عصب السياسة الأمريكية تمدّ السّياسيين بالمعلومات والمقترحات والآراء والخطط، وحدث تبادل في المراكز فكم من مستشرق أو متخصص في الدّراسات العربيّة الإسلاميّة انتقل إلى العمل السياسي، وكم سياسي ترك السياسة إلى العمل الجامعي والبحث والدراسة[28].

يلاحظ الباحثون الاهتمام الكبير لهذا الاستشراق بالدراسات حول الحركات الإسلامية أو ما سمّي الإسلام السّياسي أو الأصولية وأسهم المستشرقون والسّاسة الذين عملوا في العالم الإسلامي على إثراء المراكز البحثية بالمعلومات والملاحظات حيث انعقدت مثلا في 1985 في الكونغرس الأمريكي جلسات حول الموضوع صدرت لاحقا في كتاب[29].

كما لاحظ صادق يوشع في ندوة عن الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأمريكية أنّ من أهم أهداف هذه الدراسات:

1- تحليل أسباب انتشار الإسلام في الولايات المتّحدة وبلدان أخرى وتقديم المعلومات التي على ضوئها تقوم الحكومة الأمريكية برسم سياستها الخارجية.

2- توفير معلومات كافية عن الإسلام لتفسير سلوكات ومواقف المسلمين.

---

[28] مازن مطبقاني: بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، ط.1، 1420هـ/ 1999م.

[29] أحمد إبراهيم خضر: الإسلام والكونغرس حقائق ووثائق حول ما أسماه الأمريكيون بحركة الأصولية الإسلامية، ط1، دار المعارف الثقافية ودار النصر، القاهرة، 1994.

3- هدف خاص بالهيئات التّنصيرية وذلك لإعداد ممثليها من أجل التبشير في الدول الإسلامية وفي أوساط التجمعات الإسلامية، وأعطى مثالا بمدينة دترويت التي تقطن فيها جالية عربية مسلمة كبيرة[30].

يعد برنارد لويس من المستشرقين المهاجرين من بريطانيا إلى الولايات المتّحدة بعد هاملتون جب-وغيره- الذي أسس مركز دراسات الشّرق الأوسط في جامعة هارفرد وفون جروناووم الذي استقر في جامعة كاليفورنيا وفيليب حتي الذي انضم إلى جامعة برنستون التي لحق بها برنارد لويس في سبعينات القرن العشرين.

أما عن مكانة القرآن في الجامعات الأمريكية فقد لاحظ عبد الرزاق هرماس أن: الاهتمام الأمريكي بالقرآن كان محدودا حتى السنوات الأخيرة من القرن العشرين لكنه تزايد بعد ذلك من خلال حركة دعم التأليف والنشر وتنظيم المؤتمرات والحلقات الدراسية وسعت عدد من المؤسّسات في الولايات المتّحدة إلى استقطاب عدد من المنتمين إلى العالم الإسلامي ممّن تخرّجوا من أقسام الدراسات الشرقية بالجامعات الأوربية رغم ضعف مستواهم وذلك لأجل الاستفادة من خدماتهم[31] .

ولاحظ أيضا أن:

النّواة الأولى كانت إنشاء (الجامعة الأمريكية) في بيروت 1866م ثم في القاهرة 1919م وذلك من أجل ربط العالم الإسلامي بالغرب (الأمريكي) فكانت هذه الجامعات في الظاهر "مراكز للبعثة الأمريكية لتدريس اللغة" لكن بوظائف أخرى منها تحوّلها عند الحاجة إلى مراكز تدريب متقّدم في دراسة قضايا الإسلام، وفي عام 1921م حيث أراد مدير الجامعة الأمريكية بالقاهرة C.Watson شارل واتسون مثلا إحداث نواة بحث في القرآن، فاستدعى للعمل بها الأسترالي آرثر جفري A.Jeffery (1892-1959) الذي كان آنذاك الذي كان

[30] يوشع صادق: تدريس العلوم الإسلامية بالجامعات الأمريكية نقلا عن مازن مطبقاني: حقيقة المعرفة وأهدافها ووسائل الحصول عليها، مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق،http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=39 =

[31] عبد الرزاق بن اسماعيل هرماس: الدراسات القرآنية في جامعات أمريكا الشمالية: النشأة والمسار والتمويل والاستقلالية الأكاديمية .

مدرّسا في جمعيّة تنصيريّة بـ"المعهد المسيحي" في الهند. آرثر جفري لم يكن متخصّصا في دراسة القرآن لذلك انخرط في مجموعة تضمّ مستشرقين ألمان كانوا منتدبين بجامعة فؤاد بالقاهرة ويعملون على مشروع أسموه توثيق القرآن، ونتيجة هذه المرحلة اهتمام جفري بكتاب المصاحف لأبي داوود السجستاني. هاجر جفري إلى الولايات المتحدة حيث أصبح مسؤولا عن قسم لغات الشّرق الأدنى والأوسط بجامعة كولمبيا.

وقد تناول بعض الباحثين نقد مقدّمة جفري للكتاب الذي حقّقه.

كانت القاعدة الثّانية لاهتمام الاستشراق الأمريكي بالقرآن في جامعة شيكاغو التي احتوت منذ عام 1919م على أرشيف بعثة أثريّة أمريكية إلى مصر، وكان فيه مخطوطات مصاحف على البردي.

ويضيف الهرماس تتبعا لبواكير اعتناء الاستشراق الأمريكي بالقرآن:

أصبح القرآن يدرّس ضمن ما يصطلح عليه السّياق الديني في العصور الوسطى بالشرق الأوسط بدمجه مع الدراسات المهتمة بالتيارات اللاهوتية السريانية والمسيحية الشرقية كما تسعى إلى صناعة فهم جديد للإسلام لأمريكا ثم للعالم أجمع، اعتمادا على أفهام منحرفة للقرآن بعد استبعاد السنة بطبيعة الحال.

وأشهر جامعة أمريكية مهتمة بالقرآن اليوم هي جامعة (نوتردام) وهي مؤسسة مسيحية نشأة وتاريخا وتسييرا، وهي تقيم ندوات وحلقات دراسية موضوعها المفضل هو القرآن والتراث اليهودي النصراني.

وبعد11سبتمبر اكتشف الأمريكان قلة عدد المتخصصين الحقيقيين في الإسلام وعلومه فشهدت الجامعات اهتماما ظاهرا لملء هذا الفراغ.

المرحلة الثانية الممتدة إلى اليوم تمثل الجيل الجديد ويطغى عليها التخصص ويمكن أن تلغى أو تغير وظيفتها، ولها تسميات مختلفة، مثل "مركز السلام" أو "مركز التفاهم الإسلامي المسيحي.

يلاحظ أن الاستشراق الأمريكي ينمو ويتطور مع المفاهيم الجديدة للمستشرقين الجدد والاستشراق الإعلامي ويلاحظ تسرع وجرأة على طمس الحقائق أو الكسل عن البحث المعمق[32]

الملف الشخصي الاستشراق "الاسرائيلي" (مع عدم الإعتراف به إلا للضرورة المنهجية كما الحال باستخدام إسم الكيان المعترف به للأسف في الامم المتحدة)

المكون الرئيسي الرابع للمنظومة الفكرية لبرنارد لويس هو الاستشراق الاسرائيلي وبرنارد لويس يحمل جنسية هذا الكيان ويقيم فيه جزءا من السنة وكان مستشارا لنتنياهو عندما كان مشاهدة المشاركات ممثلا لبلده في الامم المتحدة .

ساعد برنارد لويس الباحثين القادمين من هذا الكيان على الدخول إلى المجال الحيوي للبحث العلمي في بريطانيا وفي الولايات المتحدة. والاستشراق الاسرائيلي هو صنو الاستشراق الصهيوني لأن المبادئ واحدة.

يقول محمد جلاء ادريس:

استطاع اليهود الدخول إلى حلبة الاستشراق وبخاصة في أعقاب تحرير يهود أوربا الوسطى والغربية ثم دخولهم للجامعات ووجدت الحركة الاستشراقية فيهم ما لم تجده في سائر المستشرقين إذ هم اكثر فهما للتراث الإسلامي والعربي من غيرهم من الأوربيين وذلك لتقارب اللغة العربية مع لغة ديانتهم العبرية فكان من الطبيعي أن يتفهم اليهودي الظواهر اللغوية العربية مثلا أكثر من الأوربي الغربي[33].

اليهود كما سبق الإشارة سابقا شكلوا تيارا قويا في عالم الاستشراق ومع دخول البعد الصهيوني والاسرائيلي استفاد رواده من تراكم هام من دراسات أسلافهم.

---

[32] أنظر مثلا: أمنة الجبلاوي: الإسلام المبكر الاستشراق الأنجوسكسوني الجديد: باتريسيا كرون ومايكل كوك أنموذجا، منشورات الجمل، كولونيا، 2008.

[33] محمد جلاء ادريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995/1416، ص84 .

تتبع محمد جلاء إدريس هذه الظاهرة فلاحظ أن: الأمر لم يقتصر على المساهمة الاستشراقية الأوربية في صياغة الفكرة الصهيونية بوجه عام وإنما تعداه إلى النطاق العملي فوجد على سبيل المثال مشروع انكتيل ديبرون (1731-1805) والذي يهدف إلى خلق محور يهودي في المنطقة حيث قام ديبرون برحلات استهدف من ورائها البرهنة على وجود شعب الله المختار وارتباطه في الماضي والحاضر في فلسطين وأهداف حملة نابليون الرامية الى تأكيد الميراث اليهودي لفلسطين ليست بخافية على أحد وجمعية فلسطين التي أنشئت في لندن عام 1801 وقامت بدراسات عن المنطقة اتمتها الجمعية الجغرافية الملكية التي انشئت بعدها بعامين وكانت عونا لتحقيق الهدف اليهودي الصهيوني[34].

ومن النماذج التاريخية عن الارتباط المتين بين الدراسات الاستشراقية من ناحية والمشروع الصهيوني المستشرق اليهودي salomon munk سولومون مونك الذي درس فلسطين دراسة علمية شاملة وألف في ذلك كتابا اعتمدت عليه الصهيونية في معرفة هذه البلاد[35]. يذكر عبد الرحمان بدوي عن هذا المستشرق: مستشرق فرنسي تخصص في تاريخ الفلسفة اليهودية والاسلامية ولد في ألمانيا 1803-1867 ودرس في برلين وغيرها متخصصا في اللغات الشرقية ثم رحل إلى فرنسا حيث عمق معارفه وحصل على وظيفة ودرس المخطوطات العبرية في المكتبة الفرنسية الوطنية ثم سافر مع كرمييه (الماسوني صاحب قانون يهود الجزائر) إلى مصر مترجما لخطبه ومساعدا له في فتح مدارس يهودية وحصل على مخطوطات هامة هناك ومع العودة إلى باريس عين أمينا للمجمع المركزي لليهود في باريس مواصلا العمل على المخطوطات في المكتبة الوطنية وهو أول من اكتشف مخطوط كتاب البيروني تحقيق ما للهند وكتب عنه مقال في 1843 في المجلة الآسيوية وأصيب بالعمى لكنه كتب أهم كتبه في فترة عماه وعين أستاذ كرسي العبرية في الكوليج دي فرانس.

---

[34] محمد جلاء ادريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، مرجع سابق، ص87.

[35] نفسه، ص 95 .

ألف عدة كتب في مجالات متنوعة منها تاريخ تفصيلي لفلسطين مدققا في مصادره ومراجعه.

يبدو جليّا ارتباط الفكري بالسّياسي:

ترى إسرائيل في مستشرقيها حلقة هامة من حلقات جهاز الفكر فيها ذلك الجهاز الذي يساهم في استكمال المشروع الصهيوني كما لجأت المؤسسات الحاكمة الى تكليف بعض المستشرقين بتأدية مهام مباشرة في مجال التعامل مع القضايا العربية والفلسطينية واختير بعضهم لشغل مناصب استشارية هامة[37].

برنارد لويس تشرب من هذه المنابع روح البحث والإصرار على التفوق واستغلال الفرص المتاحة لفرض السيادة الفكرية خدمة لطموح شخصي وولاء دينيا —البعض يقول إنه غير ملتزم دينيا– سياسيا ترجم في مشاريعه الاستشارية والخبراتية لتفتيت العالم الإسلامي والدفاع المستميت عن إسرائيل.

الاستشراق الجديد:

يعد برنارد لويس نموذجا وسطا بين الاستشراق الكلاسيكي والاستشراق الإعلامي.

كان الاستشراق الكلاسيكي متنوعا من حيث مستوى رصانة البحث والحياد ومن حيث المواضيع والمناهج ومن حيث التوزيع الجغرافي للمدارس الكبرى.

الاستشراق الجديد المرتبط بعالم الاتصال الحديث وبتوسع التخصصات الدقيقة أخذ أبعادا مختلفة عن الاستشراق القديم فقد ساهمت: موجة الاتصال العالمي وألوان شبكات التواصل الجماهيري في انتشار المضامين الاستشراقية الجديدة تجاه الواقع الإسلامي المعاصر بتجلياته كافة والتي صنعتها المؤسسات الاكاديمية الغربية ومراكز الأبحاث وروجتها وسائل الإعلام الدولي وساندتها السياسات العالمية ودافعت عنها شريحة واسعة من كتابنا المستغربين وأكثر ما يميز الاستشراق الجديد هو أنه لم يعد يقتصر على الدارسين الغربيين وحسب وإنما

---

[36] عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، من ص 571 إلى 573.

[37] محمد جلاء ادريس: الاستشراق الاسرائيلي، ص96 .

يستعين بجيش من الدارسين والمحللين العرب والمسلمين تكاد تقتصر مهمتهم الكبرى على دعم التصورات المنتجة عن الإسلام والعرب[38].

لم تتغير معالم الاستشراق الجديد فقط بل تغير الإجماع حول إسمه أيضا:

في باريس عام 1973 عقد مؤتمر كبير بمناسبة مرور مائة عام على بداية عقد المستشرقين لمؤتمراتهم العالمية والتي كانت تعقد كل ثلاث إلى خمس سنوات وكان اللافت في المؤتمر أنه شهد تصويتا على مدى رغبة المشاركين في الإبقاء على مصطلح مستشرق وكانت النتيجة لصالح إلغاء التسمية ويقول برنارد لويس: ألغى المستشرقون المعتمدون مصطلح مستشرق ورمي في مزبلة التاريخ[39].

ومع تغير خريطة حبال الهيمنة والسيطرة في العالم ارتفع صوت برنارد لويس الذي أكد أن زمن مؤتمرات الاستشراق انتهى وبدأ زمن: مؤتمرات الدراسات الآسياوية والإفريقية وهذا المسمى هو اسم الكلية التي درس فيها ومن بين التغييرات التي عدلت من أفاق الاستشراق الاهتمام المركزي بالإسلام السياسي[40].

تغيير مركز القوة وسقوط الإتحاد السوفياتي والبحث عن شيطان جديد تشغل تحت مسمى محاربته مصانع السلاح ومكاتب المخابرات وتصدر أزمات داخلية نحو فلكه تحالفت مع هذا البحث أسباب داخلية وخارجية في العالم الإسلامي لتشكل حزمة مشاكل أبرز ما يعبر عنها الإرهاب الذي لم تكن المخابرات الغربية بعيدة عن خلقه وتأجيج جنونه وجاءت الفرصة يشرح جزءا منها زكاري لوكمان:

طبيعيّ أن تهديد الإرهاب الذي ارتكبته جماعات إسلامية جذرية أصبح يخيم بشكل متزايد على صناع السياسة والباحثين على السواء في أواخر التسعينات وبالتالي ظلت مسألة

---

[38] عبد الله عبد الرحمان الوهيبي: حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، مكتبة البيان، الرياض، 1435،ص8

[39] نفسه، ص11

[40] برنارد لويس: الإسلام والغرب، ترجمة جماعية، دار الجديد، 1994، ص158

كيف نفهم الإرهاب الإسلامي والإرهاب عموما وكيف نرد عليه بشكل فعال موضوعا لجدل شديد ومرير أحيانا[41].

وفي هذه الظروف الاستثمار في المأساة يحتاج الى متيقظ ومتمرس كبرنارد لويس: تباينت الرؤى الاستشراقية التقليديّة والجديدة حول الإرهاب الصاعد بقوة بفعل الأحداث وأخذ تيار كبير من المستشرقين على رأسهم برنارد لويس مواقف متطرفة ضد العرب والمسلمين[42].

برنارد لويس دافع باستماتة على ضرورة تحميل أحداث سبتمبر 2001 حمولة ثقافية مؤيدا اتجاه هنتغتون في مسعاه شيطنة الآخر أي الإسلام بشعاره: من نحن وتحديات الهوية الوطنية الأمريكية. بل إن البحث بين أن شعار صدام الحضارات هو من نحت برنارد لويس أعاره لساموبل هنتغتون للضّرورة الاستراتيجية في جناح المحافظين الجدد.

في الاستشراق الجديد أقحمت مصطلحات وخصوصيات إسلامية في مجال التداول الإعلامي من أجل تحويل المسلمين إلى العدو الرئيسي للحضارة والحداثة والعالم كما فعلت اليهودية المصرية "بات يجاور" بتسويقها المغرض لمصطلحي dhimmitude الذميون وأورابيا eurabia لتنبيه أوربا إلى هيمنة العرب بثقافتهم على أوربا كل ذلك ضمن الاستراتيجية المعروفة في استعداء الآخرين ضد التواجد الإسلامي في الغرب ومشكل الأقليات داخل العالم الإسلامي وتسويق رفض الإسلام للاختلاف.

وأجريت استطلاعات وسبر آراء في العالم الإسلامي من قبل مراكز بحث غربية متخصّصة حول المرأة والإلحاد والمثلية الجنسية ومواضيع متنوعة أخرى لقياس حركة المجتمعات الإسلامية عبر أهم ما يصنع خصوصياتها بمساعدة دقيقة من خبراء من أبناء المنطقة.

عبد الله الوهيبي تابع الدّراسات النقدية لمواضيع الاستشراق كما فعل ماكسيم رودنسون فلاحظ أن الاستشراق الكلاسيكي أرسى تقاليد بحثية تقـــوم على التركيز على

---

[41] زكاري لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياساته: الصراع على تفسير الشرق الأوسط، ترجمة شريف يونس، دار الشروق، ط2، 2008.ص367

[42] معتز الخطيب: الإسلام والإرهاب في الفكر الغربي: النماذج التفسيرية وخلفياتها، وحدة الدراسات المستقبلية، مكتبة الإسكندرية، 2012، ص37.

دراسة النصوص لمعرفة الطبيعة الأساسية للشعوب وترك الدراسات الخاصة بتطور المجتمعات الإسلامية للإقتصاديين والصحافيين والدبلوماسيين والعسكريين والهواة وحافظ الاستشراق الكلاسيكي على غلبة طابعه اللغوي الفيلولوجي إلى غاية قيام الحربين العالميتين حيث اضطر الساسة وصناع القرار الى مطالبة المستشرق الكلاسيكي بحمل مسؤولية السياسة الحديثة فأصبح المستشرق الذي تربي في علم اللاهوت والفيلولوجيا والتاريخ يتكلم في كل شيء من المعلقات الجاهلية إلى الصناعة البترولية والبنك الحديث كما ساهم اليسار الجديد الرافض للهيمنة الإمبريالية واكتشاف أرشيفات جديدة على فتح آفاق جديدة للاستشراق الجديد وسيطرت فكرة دراسة المناطق بحيث بدلا من اقتصار الباحثين على الحدود الضيقة لعلومهم كل من منظوره الخاص يتم إدماج كل المهتمين بمنطقة معينة من العالم أيا كان تخصصهم العلمي في وحدة علمية واحدة[43].

مع التطور الهائل لوسائل الإعلام والإتصال أصبح الاستشراق الجديد خصوصا الاستشراق الإعلامي أكثر خطورة من الاستشراق الأكاديمي الكلاسيكي الذي لم يكن يطلع على إنتاجه إلا المتخصصون وإن كانت خطورة المادة الأكاديمية في وصولها إلى إعلى مراكز القرار السياسي كوصفات لا تقبل التردد.

ظاهرة برنارد لويس:

هي محور تتقاطع فيه عدة مكونات أنه: مستشرق إنجليزي الأصل أمريكي الجنسية يهودي الملة وإسرائيلي الجنسية أيضا وصهيوني ومتعاون مع المخابرات العسكرية البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية وتقلد مناصب إدارية وأكاديمية وسياسية في بريطانيا والولايات المتحدة وإسرائيل. هو مؤرخ ومستشرق أشرف على أطروحته المستشرق الإنجليزي جب الذي عمل رئيسا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في بريطانيا وأستاذا زائرا في كندا وفرنسا والولايات المتحدة وله تنوع في مواضيع المؤلفات.

[43] عبد الله عبد الرحمان الوهيبي: حول الاستشراق، من ص33 إلى ص72

برنارد لويس هو أيضا وريث إنتاج الاستشراق اليهودي النشيط والمثابر رصدا وتحقيقا وفهرسة وترجمة للمخطوطات كما يوضح ذلك المنصفون دون إغفال الجانب الإيديولوجي والديني الحاضر بقوة إلا مع اليهود الملحدين.

وهو وريث ثمار الاستشراق البريطاني الأوسع امتدادا والإكثر تنوعا من غيره من مدارس الاستشراق وهو المصدر لكبار المستشرقين للولايات المتحدة.

ولد في لندن في 1916م حصل على درجة البكالوريوس من جامعة لندن (درجة الشرف الأولى) عام 1936م. التحق بعدها بجامعة باريس حيث حصل عام 1937م على دبلوم الدراسات الساميّة. عاد إلى جامعة لندن لينال درجة الدكتوراه عام 1938، وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان (أصول الإسماعيلية) تحت إشراف المستشرق الإنجليزي المشهور هاملتون جب. عُيّن مساعد محاضر عام 1938م في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية لجامعة لندن، ولما بدأت الحرب العالمية الثانية التحق بصفوف الجيش وفي عام1941 أعيرت خدماته من الجيش لوزارة الخارجية البريطانية وظل في سلك الخارجية حتى عام 1945م.

عاد إلى جامعة لندن بعد نهاية الحرب مترقيا في الدرجات الجامعية الى درجة الاستاذية سنة 1949م ليعين عام 1957م رئيساً لقسم التاريخ في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية إلى غاية 1974 حيث رحل إلى الولايات المتحدة ليعمل أستاذاً للتاريخ الإسلامي بجامعة برنستون وعضواً في معهد الدراسات الدولية المتقدمة حيث بقي هناك إلى عام 1986 حيث تقاعد وليبقى مرجعا في قضايا تخصصه . وقد عين بعد تقاعده مديرا مشاركا في معهد أننبرج Annenberg الخاص بالدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى الذي حوله اليهود إلى معهد خاص متميز للدراسات لما بعد الدكتوراه كما عمل أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات الأمريكية كما انتسب الى الكثير من المؤسسات العلمية[44].

---

[44] مازن مطبقاني أنجز دكتوراه حول: منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، رسالة دكتوراه في الاستشراق الحديث والمعاصر بكلية الدعوة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1414هـ .

أما عن إنتاجه العلمي فيلاحظ في كتابات برنارد لويس وجود الطابع الأكاديمي ومرونة ظاهرة في تبسيط المعلومات وإثارة بؤر الإهتمام نتيجة تمرسه في كتابة المقالات الصحافية مع الإشارة إلى أنه في 1954 كلفته الحكومة البريطانية بالقاء محاضرات في عدة جامعات أمريكية وعقد لقاءات إذاعية وتلفزية أيضا في الولايات المتحدة وكان بعضها يترجم في إسرائيل. من أوائل بحوث برنارد لويس أطروحة حول أصول الإسماعيلية نشره باللغة الإنجليزية عام 1940م وترجم إلى العربية عام 1947م وكانت إشكالية البحث المركزية إثبات أن المسلمين لم يفهموا الحركة الاسماعيلية، وهذا ديدن برنارد لويس وبعض المستشرقين في إبراز الحركات الخارجة والمشبوهة في التاريخ الإسلامي وادعاء مظلوميتها من السلطة المركزية والتيار الغالب وخصوصا مع غياب المصادر الأساسية لهذه الحركات وتأخر ثمرات المنهج المتوازن في الكتابات التاريخية الإسلامية.

نشر برنارد لويس كتاباً آخر بعنوان (العرب في التاريخ) في طبعة غير موثقة وبالتالي حشيت بالإفتراءات والمغالطات. ترجم إلى اللغة العربية عم 1954.

الإهتمام بتركيا حاضر بقوة في فكر برنارد لويس باعتبارها آخر خلافة إسلامية وشهدت صدمة الحداثة بعد هزيمة أمام تحالف أوربي قوي.

نشر برنارد لويس ضمن هذا المسار منتجه الهام: "ملاحظات ووثائق من الأرشيف التركي" نشر في إسرائيل عن طريق "جمعية الاستشراق الإسرائيلية" عام 1952م. ثم أصدر كتابا حول: "ظهور تركيا الحديثة" عام 1961م، وكان أصلا ثمرة بحث ودراسة بعنوان القسطنطينية والعرب وذلك ضمن ندوة في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بالتعاون مع السفارة اليونانية في 1953 في ذكرى مرور قرون خمسة على سقوط القسطنطينية. ألف برنارد لويس أيضا كتاب: "إسطنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية" صدر عام 1963م.

وفي السنة الموالية نشر برنارد لويس كتابا تحت عنوان: "الشرق الأوسط والغرب" وهو تجميع لسلسة محاضرات حول نفس المحور مثبتا أن الحضارة الغربية متغلغلة في مختلف مناحي الحياة في الشرق الأوسط من السياسة إلى الثقافة مرورا بالاجتماع والإقتصاد.

في1967 مع هزيمة الجيوش الإسلامية أمام إسرائيل أصدر كتابه: "الحشاشون: فرقة متطرفة في الإسلام" وهو كتاب متواضع حجما وتوثيقا ومتوفر باللغة العربية وفي 1990 نشر مؤلفه حول موضوع العنصر واللون في الإسلام ليعاد طباعته لاحقا تحت عنوان: اللون والعبودية في الشرق الأوسط وهناك مقالة بنفس المعنى مترجمة إلى اللغة الفرنسية.

كتب عن اليهود وتاريخهم كاليهود في العالم الإسلامي ودورهم في بناء الحضارة الإسلامية كما تتبع بالدراسة الوثائق المتعلقة بالوجود اليهودي في الدولة العثمانية وبالضبط في فلسطين. كان له اهتمام بتاريخ الخلافة ومؤسساتها عبر مقالات ومحاضرات تتحول بعضها الى كتب بلغات عديدة وإن اختلفت عناوينها حسب اللغة المنقول إليها.

أيد باستماتة تدخل الجيش التركي في الساحة السياسية رغم مخالفة هذا لأبسط قواعد الديمقراطية دافع بطريقة غريبة عن براءة الأتراك من مذبحة الأرمن وصور الأمر كصراع عادي وربما برنارد لويس فعل ذلك لتبقى إبادة اليهود الإنفراد التاريخي الوحيد في تاريخ الإنسانية.

ثمن المستشرقون الإتجاه العلماني للدولة التركية الحديثة انتقاما من الرجل المريض الذي أذل أوربا ولم يشذ برنارد لويس عن ذلك.

الملاحظ عبر الكتب والمقالات المتوفرة لبرنارد لويس قدرته وقدرة مترجميه الظاهرة على إعادة نشر ما سبق نشره في صياغات جديدة كما تتكيف الترجمات أحيانا مع مكان نشرها فكتابه العودة إلى الإسلام مثلا كان في الأصل مقالة منشورة تحت عنوان الفلسطينيون ومنظمة التحرير الفلسطينية. والترجمة الفرنسية لكتاب: إسطنبول باللغة الانجليزية يتحول في اللغة الفرنسية إلى: تركيا: الديمقراطية في الإسلام.

فكتبه تترجم إلى اللغات العديدة ويتم تكييفها أحيانا حسب السوق الأيديولوجي فكتابه عن تاريخ تركيا المعاصرة ترجم إلى اللغة الفرنسية بالعنوان الرئيسي: الإسلام والعلمانية.

حوّل اللّوبي الصّهيوني والمحافظون الجدد برنارد لويس إلى أيقونة يلجأ إليها كالمتخصص الرئيس لفهم الأصولية الإسلامية وأصبح الخبير الأول في تحليل علاقة الإسلام بالديمقراطية وأصول النظام السياسي في الإسلام.

أفكاره المركزية في هذا السياق هي أن الأزمة في الشرق الأوسط ليست سياسية بل صدمة الحضارات ويربط هذا بعلاقة برنارد لويس منذ انتقاله إلى الولايات المتحدة عام 1974 ب بول وولفوويتش paul wolfowitz المهندس الرئيسي للحرب على العراق وهو لم يخف يوما تأييده المطلق لإسرائيل مبررا ما تفعله لحماية نفسها.

وبعد11 سبتمبر نشر مقالين: ماذا حدث؟ والإسلام في أزمة، والمقالان مترجمان إلى أكثر من اللغة وبرنارد لويس يصب كل حقده على الإسلام والمسلمين محرضا العالم ضدهم. ويعتبر برنارد لويس صاحب مفردات معجم الهجوم على الإسلام بعد 11 سبتمبر ومن أهمها ضرورة التركيز على القراءة الثقافية للأحداث.

وهو يحين رصيده في أدوات معركته ضد الإسلام ففي1957 أطلق عبارة صراع الحضارات في ندوة في جامعة هوبكينس وأعاد ترتيبها في 1960 ضمن كتاب بعنوان: الشرق الأوسط والغرب. وكان صامويل هنتغتون يعمل مساعدا لبرنارد لويس آنذاك.

كتب برنارد لويس كتابه: العرب في التاريخ المنشور عام 1950 واستفاد من اطلاعه على مخطوطات هامة جدا في تركيا وفي أثناء دراسته الحرة في القاهرة. وبناء عى هذه المعرفة وغيرها من روافد معلوماته رسم خرائط جديدة للعالم الإسلامي نرى ثمرتها في عمليات تفتيت وهدم دول إسلامية قائمة[45].

مما أفاد برنارد لويس في تسويق أفكاره قربه من الدوائر المؤثرة سياسيا فهو عمل مستشارا للرئيس بوش ولنتنياهو عندما كان سفير إسرائيل في الأمم المتحدة وهو صديق مقرب والمستشار الأكاديمي لديكشيني والمحافظين الجدد ومن تلامذته السائرين على نهجه: توماس فريدمان ودانييل بايبس وتقول بعض الكتابات أن تلميذه رافائيل باتاي صاحب كتاب العقل العربي (الكتاب مترجم الى اللغة العربية) اعتمد عليه القائمون على جرائم وفضائح أبي غريب في العراق والكتاب كان أيضا ضمن أدوات ومرجعيات التحضير لغزو العراق[46].

---

[45] المادة الخاصة بهذه الجوانب في حياة برنارد لويس موجودة في مواقع أكاديمية متاحة.

[46] راجع على سبيل المثال: كتابات وحوارات، أوليفييه روا حول الجهل المقدس وأوهام 11 سبتمبر .

ظل برنارد لويس أستاذاً للدراسات الشرقية بجامعة برنستون حتى تقاعده من العمل الأكاديمي في 1986؛ إذ أصبح أستاذاً فخرياً (Professor Emeritus)، وهو مركز جعله يبقى مرجعاً فيما يتعلق بالإسلام والعرب والشرق الأوسط ليس للأكاديميين الغربيين فحسب، بل لدوائر صنع القرار الأمريكي والاعلاميين.

ومن تأليفاته الاستشرافية الإستراتيجية كتابه: تاريخ الشرق الأوسط في 200 سنة الأخيرة. يقول ادوارد سعيد: برمارد لويس: حالة شيقة للدراسة المتقصية لأن مكانته في العالم السياسي للمؤسسة الأنجلو –أمريكية شرق أوسطية مكانة المستشرق المتفقه وكل ما يكتبه مشبع بسلطة هذا الحقل بيد أن عمله لعقد ونصف العقد على الأقل لم يزل بصورة رئيسية عقائديا بحدة.

يقول جلال أمين في جريدة الحياه (26جويلية 2003):

كيف يمكن الاستغناء عن خدمات رجل مثل المؤرخ البريطاني الشهير برنارد لويس إذ ليس المطلوب بالضبط مؤرخا شهيرا فليس التدقيق في التاريخ وتحليله هو الغرض بل المطلوب رجل يجمع بين الشهرة كمؤرخ والولاء الذي لاشك فيه لهذا الهدف نفسه الذي تتوخاه الإدارة الأمريكية وأصحاب المشروع الصهيوني الإسرائيلي وهو التشهير بالإسلام والمسلمين لم تمض شهور قليلة بعد11 سبتمبر حتى أصدر كتابا عن الخلفية التاريخية لهذه الأحداث وهو كتاب: أين مكمن الخطأ؟ ويقصد بهذا: ماهو بالضبط الذي جعل المسلمين يرتكبون أحداث 11 سبتمبر what went wrong.

الآراء حول برنارد لويس كثيرة وحضوره الممنهج يفرض تحيينها لذلك أُتبعت كل الأساليب لضمان نجاح الكتاب وتسويقه على أوسع نطاق ممكن فالرسالة التي يحملها من المهم أن تصل في هذا الوقت إلى أكبر عدد ممكن من الناس والرسالة هي أن هناك أشياء متأصلة وعميقة للغاية في نفسية المسلمين وعقليتهم تجعلهم يتصرفون على هذا النحو الذي شهدناه في 11 سبتمبر.

كتابات برنارد لويس ليست مرجعية موسوعية على الطريقة الكلاسيكية ولكنها موضوع فارض لنفسه في المقاييس التالية عندما تدرس محينة:

1- الاستشراق الكلاسيكي منه والجديد والإعلامي ومختلف التسميات المحتملة.

2- الحركات السياسية في الإسلام.

3- التاريخ المعاصر لبلاد الإسلام.

4- تاريخ الدولة العثمانية.

5- تاريخ تركيا الحديثة.

6- الفكر الإسلامي من خلال بحوثه في السياسة الشرعية ومواضيعها وحركات التمرد السياسي الديني.

7- التمذهب السياسي الديني من خلال دراسته لمعجم المصطلحات السياسية التركية الفارسية العربية وخلفياتها التاريخية وغيرها.

8- الرؤية الاستشراقية للقرآن والتفاسير المبثوثة بذكاء في كتبه اعترافا منه بأهمية مصدرية القرآن ولكن بوضعه في سياق حياة المسلمين وما يفعلونه.

أعماله كما وردت في كتاب الإسلام الأصولي[47]:

1.أصول الإسماعيلية كمبريدج 1940 .

2.تركيا اليوم 1940

3.تاريخ اهتمام الانجليز بالعلوم العربية 1941

4.السياسة والدبلوماسية العربية 1947

5.أرض السحرة .1948

6.العرب في التاريخ 1950

7.ملاحظات ووثائق من المحفوظات التركية 1956

[47] الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، برنارد لويس –ادوارد سعيد، دار الجيل، بيروت، 1994.

8.التاج الملكي1961

9.مؤرخو الشرق الأوسط مشترك .1962

10.استانبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية .1963

11.تاريخ كمبريدج للإسلام بالإشتراك 197

12.العنصرية واللون الإسلامي 1971

13.الإسلام في التاريخ 1973

14.الإسلام من النبي محمد حتى سقوط القسطنطينية في مجلدين 1974

15.التاريخ 1975

16.عالم الإسلام 1976

17.إسماعيل والعالم العربي 1976

18.دراسات في الإسلام والعثمانيين من القرن السابع إلى القرن السادس عشر آخر طبعاته 1976.

19.دائرة المعارف الإسلامية مشترك

20.بحوث في نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية

21.تفسير إسماعيلي لخروج آدم من الجنة 1937-.1939

22.مصدر يهودي عن دمشق عقب الفتح العثماني 1940-.1942

23.مذكرات إسماعيلية .198

24.سفر الوحي وأثره في التاريخ الإسلامي .1950

25.صلاح الدين والحشاشين .1953

26.الإسلام و أوروبا .1957

27.ترجمة حياة يوسف شاخت.

ومن أبحاثه:

1.التنظيم الإقتصادي مجلة التاريخ الإقتصادي .1937

2.رواية عربية عن ثورة بلاط بيزنطة .1939

3.الفاطميون وطريق الهند مجلة العلوم الإقتصادية إستنبول 1949-.1950

4.مصادر تاريخ الحشاشين في سوريا المرآة 1953

5.الشيوعية والإسلام الشؤون الدولية .1954

6.مفهوم الجمهورية في الاسلام العالم الاسلامي.1955

7.كتاب إسماعيلي من القرن الرابع عشر مجلة الجمعية: الملكية الآسيوية .1955

8.الديمقراطية والشرق الأوسط جمعية الشرق الإوسط .1955

9.رد الشرق الأوسط عن الضغط السوفييتي .1956

10.المسعودي وملوك الفرنجة الذكرى الألفية للمسعودي .1960

11.الإسلام وأوربا وأمريكا حلقة علم الإجتماع الإسلامي.1961

12.الميمونيون وصلاح الدين 1964

13.كمال الدين 1966

14.العرب وإسرايل وفلسطين الشؤون الخارجية 1967

15.جغرافية الشرق الأوسط دراسات الشرق الأوسط1967

16.الإسلام 1968

17.الإسلام والثورة 1972

18.من تاريخ شمال إفريقيا 1973

19.المصطلحات السياسية في العربية الحديثة 1974

20.زراعة الحبوب في اليمن وكتاب بغية الفلاحين .1974

21.جنوب الجزيرة العربية .1976

22.النمو والثقافة في إيران الإسلامية 1976

23.جذور السخط الإسلامي 1990

1. Istanbul.
2. Le monde de l islam.
3. Les arabes dans l histoire
4. L islam en crise.
5. Sémites et antisémites
6. Que s'est il passé : l'islam, l'occident et la modernité.
7. Le retour de l'islam.
8. Race et couleur en pays d islam.
9. Les assassins :terrorisme et politique dans l'islam médiéval préface :rodinson.
10. Prédiction de Bernard Lewis pour le moyen orient.

يقول عبد اللطيف الطيباوي: كتب برنارد لويس كانت في الأصل ملاحظات تعليمية ولهذا السبب فهي خير وسيلة لدراسة أفكاره فهو يؤكد أن الأمر واضح بكون النبي محمد كان واقعا تحت التأثيرات اليهودية والنصرانية وأن رواية النبي لقصص التوراة والإنجيل تشير إلى معرفته بالتوراة والإنجيل وقد يكون قد أخذهما بصورة غير مباشرة من التجار والمسافرين الذين كانت معلوماتهم خاضعة للتأثيرات المدراشية اليهودية والأساطير الابوكرافية[48].

هذه المسلمات الحاضرة في كتابات برنارد لويس سبقه اليها مستشرقون آخرون وبالتالي لم يأت برنارد لويس بجديد في هذا السياق إلا التسويق وإعادة التدوير لها.

برنارد لويس من خلال بعض كتبه:

1-الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية برنارد لويس – ادوارد سعيد[49]:

يتحدث فيه برنارد لويس عن القرآن ضمن رؤية مقارنة مبثوث في ثناياها حط من مصدر القرآن يقول:

---

[48] عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالنجليزية: دراسة نقدية؛ ترجمة وتقديم قاسم السامرائي، جامعة الإمام محمد ن سعود الإسلامية، 1991، ص99 .

[49] الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، برنارد لويس –ادوارد سعيد، مرجع سابق، 1994. واهتم بما أسماه جذور السعار الإسلامي The roots of muslim rage **atlantic monthly vol sept 1990**

"فكرة أن الله له أعداء وأنه بحاجة لمعونة البشر لتحديدهم والتخلص منهم تبدو إلى حد ما عصية على الفهم إلا أنها على أية حال ليست مستهجنة فمفهوم أعداء الله شائع في أدبيات العصور الوسطى وما قبلها ففي العهدين القديم والجديد كما في القرآن. الصراع في القرآن بين الخير والشّر بين أوامر الله والإغراءات إلا أن ذلك يبدو كأنه صراع مسيّر من قبل الله ومحسوم سلفا لصالحه ووظيفته اختبار الإنسان وبخلاف الأديان الثنوية القديمة فليس للإنسان دور في هذا الصراع لتحقيق النصر للخير ضد الشر"[50].

وطعنا في الرسول ﷺ كما فعل أسلافه يقول في عبارات قد يفلت معناها الحقيقي ممن لا معرفة له بخلفيته كمؤرخ يحسن توظيف المعلومات التاريخية بطرق ذكية تجعله يحذر من شيطنة مطلقة للحضارة الإسلامية لذلك يحللها وفق منظور متأرجح هلامي حيث يقول: "صراع الخير والشر في الإسلام اكتسب بسرعة أبعادا سياسية بل وعسكرية. فمحمد على سبيل التذكير لم يكن فقط رسولا ومعلما على شاكلة غيره من مؤسسي الأديان فهو أيضا قائد الحكومة والمجتمع حاكما مقاتلا ومن ثم فان كفاحه استلزم دولة وقوات مقاتلة إذا كان المقاتلون في سبيل الإسلام الحرب المقدسة في سبيل الله يقاتلون من أجل الله فإن ذلك يستتبع القول أن خصومهم يقاتلون ضد الله وبما أن الله هو المهيمن ومصدر السلطات من حيث المبدأ وهو القائد العلوي للدولة الإسلامية والنبي وخلفاؤه من بعده وكلاء مباشرون عنه فإن الله إذن هو راعي الجيش وقائده فالجيش هو جيش الله والأعداء هم أعداء الله فواجب جنود الله إذن هو إرسال أعداء الله بأقصى سرعة ممكنة إلى حيث تولى الله بنفسه معاقبتهم وتأديبهم"[51].

التّاريخ الإسلامي واسع والفكر الإسلامي متنوع ولكن أيديولوجية برنارد لويس تأخذ منهما ما يتوافق مع فكرة مسبقة تدين العالم الإسلامي وتبرر ما يحاك ضده.

---

[50] الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، برنارد لويس –ادوارد سعيد، ص12 .

[51] نفسه، ص13

يقول برنارد لويس: في الرؤية الإسلامية التقليدية التي بدأت أعداد كبيرة من المسلمين بالرجوع إليها العالم كله ينقسم إلى فريقين: في دار السلام حيث تسود الشريعة والعقيدة الإسلامية والباقي في دار الحرب التي من واجب المسلمين في النهاية أن يضموها إلى الإسلام ولكن الجزء الأكبر من العالم لايزال خارج الإسلام وحتى داخل البلدان الإسلامية وتبعا لرؤية المتشددين الإسلاميين فإن العقيدة الإسلامية ضعفت والشريعة الإسلامية عطلت لذا فإن واجب الحرب المقدسة أن تبدأ في الداخل وتمتد للخارج ضد العدو الكافر السياسي والمخطط الاستراتيجي يوصل التحليل إلى اعتبار الإمبريالية المدانة اليوم هي عينها التي لبستها الحضارة الإسلامية[52].

2-في كتابه أين الخطأ: التأثير الغربي واستجابة المسلمين[53]:

يصدر برنارد لويس للقارىء الغربي مشاهد عنيفة من عصر الإسلام الأول الذي يعتبره المسلمون خير العصور وينقل بطريقة مباشرة ما هو مبثوث في كتب التراث الإسلامي ويكاد لا يعلم به أكثرية المسلمين أنفسهم والهدف واضح وهو تأصيل فكرة العنف المتجذر في الإسلام في ضمائر قرائه وإلهاب عداوتهم للمسلمين خصوصا مع ما يصدر عن المسلمين كاحتفال بعضهم بما حدث في 11 سبتمبر وابرازه كإعجاز.

المجتمع الغربي الذي يكتب اليه برنارد لويس معقد من سيطرة رجال الدين والكنيسة ودفع الثمن غاليا لإرساء الحكم المدني وعندما يقدم لويس الإسلام كدين تنص تشريعاته على المزج بين الديني والمدني بين الكنيسة الإسلامية والحاكم الإسلامي فهو أيضا تنبيه لاستحالة تعايش المسلمين مع الديمقراطية والحضارة الغربية كما يبنه في كتب ومقالات أخرى يقول في كتابه الحالي:

---

[52] الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، برنارد لويس –ادوارد سعيد، ص13 - 14 .

[53] في كتابه أين الخطأ: التأثير الغربي واستجابة المسلمين، ترجمة محمد عناني الذي نشرته جامعة أكسفورد وطبعت نسخته العربية مؤسسة سطور، 2002 .

كانت أول ثلاثة حروب أهلية كبرى في الإسلام على نحو ما يرويه المؤرخون المسلمون سلسلة من المحاولات غير الناجحة لتوجيه الدولة والمجتمع الإسلامي الجديدين في الطريق الذي رسمه الدين إذ أن المثل العليا للورع والتقوى قد اصطدمت مع ضرورات الحكم ولم تلبث أن اصطدمت مع ضرورات الإمبراطورية وكان الناس يرون أحيانا أن المطامح الدينية تهدد استقرار المجتمع السياسي واستمراره[54].

يواصل برنارد لويس في اتهام القرآن والسيرة والتاريخ الإسلامي بطرقة توحي بالموضوعية لكن استخدام التشبيهات النابعة من التجربة المسيحية الغربية يصب دائما في تأكيد عدم صلاحية المسلمين للتعايش والإندماج في العالم الحديث حيث يواصل تأكيد مسلماته:

المسلمون أتوا معهم بكتابهم المقدس بلغتهم وأنشأوا دولتهم ومؤسستهم الخاصة ذات السيادة وشريعتهم الخاصة ولما كانت الدولة الإسلامية أداة للإسلام بل وأنشأها مؤسسها بهذه الصفة لم تكن هناك حاجة إلى أي مؤسسة دينية منفصلة فالدولة هي الكنيسة والكنيسة هي الدولة والله على رأس الإثنين والنبي ممثله على الارض. وبعد وفاة محمد انتهت بعثته الروحية ولكن المهمة القيادية في جوانبها الدينية والسياسية والحربية تولاها من خلفوه باعتبارهم نوابا عنه وهم الخلفاء وفي نظر المسلمين لا توجد سلطة تشريع بشرية ولا يوجد إلا قانون واحد للمؤمنين وهو شرع الله المقدس الذي جاء به التنزيل. ومع مرور الوقت وازدياد التعقيد في القوانين والمذاهب الإسلامية بدأ المسلمون ناظرين إلى أمثال الأديان القديمة التي سبقتهم في إنشاء طبقة من رجال الدين المحترفين أو العلماء كما يطلق عليهم أي من لديهم العلم الذي يعني المعرفة الدينية وكانوا فقهاء قانون وفقهاء لاهوت معا[55].

تتبع عبد اللطيف الطيباوي ناقدا بعض أفكار برنارد لويس مبينا تصرف برنارد لويس في إيراد الأحداث التاريخية وفق رؤية إيديولوجية دينية ظاهرة.

---

[54] في كتابه أين الخطأ: التأثير الغربي واستجابة المسلمين، ترجمة محمد عناني، ص153 .

[55] نفسه، ص 154

[56] عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالنجليزية دراسة نقدية، ص99

يقول الطيباوي: ففي مقالة لبرنارد لويس ظهرت في مجلد حول تاريخ مصر وسوريا منذ نهاية العصر الأموي وحتى بداية الدولة العثمانية كانت المقالة متخمة بالمبالغات المسرفة في الجرأة وتعميم الأحكام التي تفتقر إلى الدقة والتحقيق[57].

ويعطي عبد اللطيف الطيباوي مثالا على ذلك في العرض التالي:

يؤكد لويس أن زيارة المأمون الخليفة العباسي لمصر كانت لغرض تنصيب أحد الولاة عليها إلا أن الأمر الأكيد أن المأمون لم يسرع من بغداد إلى مصر من أجل أن ينصب أحد الولاة مع أن زيارته التي سبقت زيارته لمصر كانت أهم بكثير من تلك إذ كان المفروض أن أمره بإجراء الترميم الواسع في قبة الصخرة في القدس يجب أن يكون أكثر إبرازا في المقالة من تنصيب وال إقليمي هناك وكان هذا واضحا للمأمون نفسه حين أمر بصك عملة نقدية خاصة كتب عليها إسم القدس تخليدا لذكرى هذه المناسبة[58] وربطا بما سبق يضيف الطيباوي: ولعل برنارد لويس هو الكاتب الغربي الوحيد الذي جرد صلاح الدين بغفلة وتعمد من صفاته النبيلة[59].

يوضح عبد اللطيف الطيباوي أيضا أن التوثيق والأمانة لم يكونا محترمين عند المؤرخ برنارد لويس: ادعى برنارد لويس في مقالة له عن الإمبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر أن الجزية قد ألغيت بصرامة بفرمان سلطاني ولم يشر إلى أي مصدر معتبر أو غير معتبر استقى منه هذه المعلومات وهذا أمر غريب حين يصدر من كاتب سبق أن شغل نفسه بالبحث في دور الوثائق العثمانية في إستنبول عندما كان يعد الكتاب[60].

قراءة هذه الأفكار مهمة جدا عند تتبع الخرائط المقترحة لتقسيم العالم الإسلامي والتي سطرها برنارد لويس ووافقت اقتراب الذكرى النائة لاتفاقيات سايس –بيكو.

---

[57] عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالنجليزية دراسة نقدية، ص110 .

[58]– [59] نفسه ص111

[60] نفسه .ص111 و ص112 .

برنارد لويس صاحب مشروع تفتيت العالم الإسلامي الذي يراه بناءا هشا في جذوره كما نشر في 1992 في مجلة foreing affairs تسخيرا للمنابر الأكاديمية خدمة لمشروع المسيحية الصهيونية حيث: المعروف جيّدا أن مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن تصدر مجلة تسيطر عليها هيئة من أساتذتها العاملين فيها. وحين كانت هيئة تحريرها يترأسها برنارد لويس لوحظ أن المقالات التي كتبها إسرائيليون مجهولون كانت أكثر عددا بالنسبة إلى غيرها إلى حد أن أحد الطلبة أطلق عليها لقب مجلة الجامعة العبرية[61].

برنارد لويس شغل مناصب إدارية وسياسية ولم يكن هذا الجانب من سيرته الذاتية ليخرج عن مشروعه الفكري الديني السياسي فهو: عندما كان أستاذا لتاريخ الشرق الأدنى والأوسط وهو اصطلاح جديد يعني العرب والإسلام في جامعة لندن وكان يمارس تأثيرا شديدا على التعيينات والترقيات الداخلية في المدرسة[62].

في عمله الدؤوب على تنفيذ مشروعه والذي تسانده جهات عديدة سياسية واقتصادية ودينية برنارذ لويس لا يلتفت للنقد ولا يتراجع عن مواقفه وبالتالي كل الأصوات التي تحاول النيل من مكانته العلمية تبوء بالفشل وكل ما يقوله يخدم أسياد العالم اليوم الذين شيطنوا المسلم وأدانوا الإسلام ولا يهتمون إلا بجغرافية وخيرات العالم الإسلامي وقد لخص برنارد لويس منذ 1985 الرؤية التي يريدها أن تستقر في الأذهان وهي أن:

جذور الغضب الاسلامي راجعة إلى روح الهزيمة أمام تطور الحضارة اليهودية المسيحية وثقافة إسلامية جامدة والمسلمون يكرهون الديمقراطية والحرية فالمشكلة في أرتريا وصربيا كون المسلمين يرفضون أن يحكمهم كفار.

---

[61] عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالنجليزية دراسة نقدية، ص.127

[62] نفسه ص137 .

3-في كتابه إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية[63]:

الكتاب بحجم متواضع ولكنه يحمل أفكارا مكثفة عن العالم الإسلامي والإسلام وهذا المنهج يوافق متطلبات سوق للقراءة تتناول مواضيع مهمة للغاية بأسلوب غير مثقل بالإحالات الكثيرة والتحليلات المتشعبة. وسوف يلاحظ أيضا تكرار نفس الأفكار بطرق مختلفة والإشارة إلى مصادر الدين الإسلامي بطريقة غير أمينة وغير موضوعية.

يقول برنارد لويس: ولا يصح حسب نظريات فقهاء المسلمين المحافظة وجود آية سلطة تشريعية إنسانية وجميع القوانين تصدر من الله الذي هو مصدر وحيد لكلا التشريع والسيادة العليا وأن الشريعة التي نزلت عن طريق الوحي وفسرت وفصلت من قبل المفوض لهذا التفسير سماوية وغير قابلة للتبديل[64].

لا تملك الدّولة حسب نظرية فقهاء المسلمين الدقيقة سلطة التشريع بل الله فقط يضع القانون ويعلنه بواسطة الوحي و... قانون الإسلام المقدس أي الشريعة بنيت على القرآن والسنة النبوية التي دونها وفسرها العلماء الأوائل وليست وظيفة الحاكم الأعلى وضع أو حتى تعديل هذا القانون وليس وظيفة الفقهاء تنقيح وإصلاح هذا القانون الذي هو سماوي وخالد فضلا عن تبديله وإنما وظيفتهم تنحصر في تفسيره وتطبيقه ولكن الضرورات العملية لتفسير وتطبيق هذا القانون أعطت لإرادة الحاكم الأعلى ومهارة رجال الشريعة مجالا أوسع لما يسمح به ظواهر النصوص الشرعية[65].

عندما يتم عرض السياسة الشرعية والنظام السياسي في الإسلام بهذه الطريقة المبتسرة وحي بأن المكتبة الإسلامية خالية من الإجتهادات القديمة والحديثة حول هذه المسائل وحديث برنارد لويس بهذه القطعيات لا تعبر عن منهج علمي أكاديمي وإحالة برنارد لويس أمور السياسة إلى القرآن الكريم لا يعني اعترافا منه بقدسيته ولكن ليثبت جمود الفكر

---

[63] في كتابه استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية؛ تعريب د. سيد رضوان علي، ط.2، الدار السعودية، الرياض، 1982 .

[64] نفسه، ص63 .

[65] نفسه، ص178-179

السياسي الإسلامي متجاوزا كون القرآن كتاب هداية وليس دستورا سياسيا فالمسلمون يستمدون من القرآن الأسس والمبادئ ويختارون لحياتهم ما يتلاءم معها.

4- في كتاب لغة السياسة في الاسلام[66]:

موقف برنارد لويس من القضايا الكبرى في الإسلام لا يختلف في كل كتبه والتي تتماشى مع رغبته في الوصول إلى مستويات متعددة من المتلقين المتخصصين وغير المتخصصين يقرأون كتبه ثقة في سيرته العلمية وبالتسويق المدروس له كمرجعية رئيسية في كل ما يتعلق بالإسلام.

يقول في هذا الكتاب: "وينبغي أن نبحث أصول اللغة السياسية في الإسلام شأنها شأن كل جوانب الإسلام في القرآن والحديث النبوي وممارسات المسلمين الأوائل فهي تستمد أصولها بشكل تصاعدي من بلاد العرب القديمة ومن المعتقدات الدينية المختلفة كالمسيحية واليهودية وبعض المعتقدات **الوثنية** التي كانت موجودة هناك عند ظهور الإسلام لكن الإمتداد والتوسع العظيم للدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي تحت حكم الخلفاء الأوائل بحيث ضمت منطقة شاسعة تمتد من أوربا والأطلنطي من ناحية إلى مشارف الهند والصين من الناحية الأخرى أخضعت الدين الجديد والحضارة الجديدة عندما كانا لايزالان فتيين طيعين لكم هائل من التأثيرات كما قدم اسهاماته كل من الزردشتية في المناطق الشرقية والمسيحية في المناطق المركزية والغربية وبدرجة أقل الأقليات اليهودية الباقية داخلهما معا. وساعدت الخبرة العملية للإمبراطوريتين الفارسية والرومانية ومنهما أخذت الإمبراطورية الإسلامية الجديدة أغلب مقاطعاتها وأغلب الجهاز الإداري الإمبراطوري ساعدت أيضا في رسم صورة الحكومة الإسلامية نفسها ومبادئها فالترجمة التي تمت منذ بداية القرن الثامن للحوليات الفارسية في الإدارة ورسوم البلاط وعن الرسائل اليونانية في الفلسفة السياسية"[67].

---

[66]-في كتاب لغة السياسة في الإسلام؛ تر. إبراهيم شتا، ط1، دار قرطبة، قبرص، 1993 .

[67] نفسه، ص 16 .

الحديث عن مصادر للفكر الإسلامي فيما هو أبعد تاريخا من زمن ظهور الاإسلام لا يعني بالنسبة لهذا الصنف من المستشرقين البحث عن المشترك الإنساني ولكن لتثبيت فكرة عدم أصالة الفكر الإسلامي وأيضا الإسلام نفسه بالنسبة للكثير من المستشرقين الذين يرون في الإسلام جمع بين مكونات عديدة استقاها النبي محمد عليه الصلاة والسلام من مصادر يبحثون عن أدلة ذلك في التراث الإسلامي ولا يجدون إلا شبهات يدفعون بها إلى أوراق كتبهم ومقالاتهم ويسوقونها تحت مسمى: أدلة.

من تحليلات برنارد لويس لإثبات ما يقوله: في القرآن نفسه توصف مكة بأنها أم القرى وهي ترجمة حرفية للمصطلح اليوناني metropolis والصراط ليس إلا strata اللاتينية[68].

يتوقف المستشرقون المهتمون بالقرآن كثيرا عند الكلمات غير العربية رغم أن القرآن يصرح أنه عربي مبين لكن لعلماء المسلمين تحليلاتهم وردودهم حول هذه المسألة القديمة الجديدة والتي لا يلتفت إليها برنارد لويس وغيره مستبيحين مقاربة القرآن بعيدا عن أبجديات المنهج العلمي الذي يقتضي فهم "النصوص" ضمن قواعد بيئتها وعلمائها.

يحاول برنارد لويس الوصول إلى بعض الإستنتاجات حول مواضيع متعلقة بالقرآن دون المرور بالتراث الفكري الإاسلامي الذي تناول نفس القضايا وأجاب على الكثير من الإشكاليات التي يضعها برنارد لويس في مخبر الاستشراق.

يضيف برنارد لويس في نفس السياق: يرجع مصطلح الأمة إلى ما قبل الإسلام وقد ورد في العربية القديمة كما ورد في اللغات السامية الأخرى ويمكن أن يستخدم للدلالة على جماعات متميزة بأشكال مختلفة[69].

---

[68] في كتاب لغة السياسة في الإسلام؛ مرجع سابق، ص.17

[69] نفسه، ص55

ويضيف برنارد لويس: ويرد مرات عديدة في القرآن باختلافات مهمة ومن الممكنإ يكون عرقيا إذ يتحدث القرآن عن أمة العرب ويمكن أن يكون دينيا لأن القرآن يتحدث أيضا عن الأمة المسيحية ويمكن أن يكون أخلاقيا إذ يتحدث القرآن عن أمة الصالحين في مقابل أمة الأشرار والطالحين كما يمكن أن يكون أيديولوجيا إذ يتحدث القرآن عن أولئك الذين يسلكون الطريق القويم ويتعاملون جيدا من بين المسيحيين وفي جنوب بلاد العرب القديمة يعني المصطلح وثيق الصلة "لومية" اتحادا قبليا ومن المحتمل أن يكون مصطلح الأمة قد استخدم في ما يشابه هذا المعنى في عهد الرسول بالنسبة لأول مجتمع إسلامي تشكل في المدينة[70].

احالات برنارد لويس في هذه الاستنتاجات هي لمستشرقين وهو يتلقى أفكارهم واجتهاداتهم كمسلمات وحقائق متجاوزا الحقيقة العلمية وهي أن الفرضيات والاجتهادات خصوصا في العلوم الإنسانية متحركة باستمرار ولا تثبت إلا حقيقة نسبية النتائج وتحولها باستمرار إلى رضيات قابلة للإثبات كما هي قابلة للنفي.

ويعطي برنارد لويس رأيه في كلمة محورية أخرى بنفس المنهج :كلمة ملّة مألوفة لدينا أكثر من استخدامها التركي ملت وهي كلمة قرآنية عربية من أصل أرامي وتعني في الأصل كلمة ثم جماعة من الناس قبلت كلمة معينة أو كتاب وحي[71].

كتاب برنارد لويس ملئ بهذه الاستنتاجات التي تنتشر كحقائق في ظل الهالة المحيطة بظاهرة برنارد لويس وأي صوت علمي آخر خصوصا من المسلمين أو حتى العرب غير المسلمين لن يسمع.

---

[70] في كتاب لغة السياسة في الإسلام؛ 1993، ص56

[71] نفسه، ص64

التاريخ الإسلامي ممتد على عدة قرون تم خلالها كتابة أجزاء كبيرة منه ولارتباطه بالسياسة لم تكن الموضوعية والحياد منهج أغلب تلك الكتابات وللوصول إلى تصور متوازن لابد من جهود جبارة واجتهاد متواصل.

يقحم برنارد لويس تفكيره في مرحلة حرجة من التاريخ الإسلامي ويصدر عليها أحكاما لابد من الحفر العميق لفهم أبعادها فهو يقول مثلا:

وقد وجد الراديكاليون كالسلطويين نصوصا من القرآن والحديث تدعم الدروس التي وجدوها في الأعمال التي قام بها الرسول وهناك آيات متعددة في القرآن تتصل بشكل خاص بفرعون مصر وفيها يأمر الله الناس بعدم اتباع الملوك الوثنيين الطغاة[72] .

هذه الفقرة الصغيرة تحمل عناوين لمسائل أساسية في الفكر الإسلامي فقها وسياسة شرعية وأصول دين وغيرها ولا يمكن الوصول فيها إلى استنتاجات موضوعية ما لم يتم الاطلاع على أجزاء هامة من مكونات التراث الإسلامي رغم ذلك تبقى النتائج غير قطعية وتحتاج دوما إلى المراجعة أما برنارد لويس فهو يقدم استنتاجاته بناء على قراءة لبعض مؤلفات المستشرقين فقط.

من المسائل الهامة في التاريخ الإسلامي وتحتاج إلى دقة في تناولها الممارسة السياسية للنبي محمد عليه الصلاة والسلام وقد ألف المسلمون كتبا لتبيان معاني عصمة النبي عليه الصلاة والسلام هل هي في أمور الدين فقط أو في كل اجتهاداته وممارساته بما فيها حياته الشخصية وتسييره للشأن السياسي.

يقول برنارد لويس: بالنسبة للرسول والمسلمين الأوائل لم تكن هناك مشكلة فقد كان أساس الشرعية تفويضا إلهيا بواسطة الوحي فكان بأمر الله أن هاجم الرسول حكام مكة وأسقطهم وكان بأمر الله أن احتفظ لنفسه بالسلطة ضد كل من حاول أن يسقط هذه السلطة أو يقضي عليها حتى بعد الرسول لم تكن هناك مشكلة المؤمنين لفترة من الزمـــــن

[72] في كتاب لغة السياسة في الإسلام، ص143

فكان معيار الشرعية هو الايمان بالله وصيانة شريعة الله وكان هدف الفعل السياسي والعسكري خلع الكفر من السلطة لأنه لا يمكن أن يمنح شرعية وإحلال الإسلام محله حيث من خلاله فحسب يمنح الله الحكام الشرعية وقد بدأت المشكلة عندما لم يصبح القتال موجها ضد وثنيين أو كفرة بعد لكنه موجه ضد مسلمين اي عندما أسقط حاكم أو نظام مسلم بالقوة وحل محله حاكم آخر وخلال الصراعات المذهبية والسياسية في القرون الأولى من التاريخ الإسلامي أصبحت الشرعية قضية محترقة ووجد الغصب والظلم استخداما سائدا ومنتشرا في الممارسات الإسلامية السياسية[73].

يدمج برنارد لويس عدة قضايا في فقرة صغيرة ويحجم من مسائل غاية في الدقة للوصل إلى تصور يبدو موضوعيا ولكنه مشحون بالجينات التي تسكن فكر برنارد لويس وتصب كلها في صالح ادانةالاسلام والمسلمين.

يحلل برنارد لويس من نفس المنظور المجال التداولي للمصطلحات الشرعية فيضيف: يحتوي الاستخدام الكلاسيكي على كثير من المصطلحات التي تستنكر الانتفاضات والعصيان والتمرد والتخريب والفتن من كل الأنواع وأكثر هذه المصطلحات شيوعا الفتنة مع وجود معانيها الأصلية التي تعني الأختبار والإغواء غالبا مع تلميحات جنسية وترد الفتنة كثيرا في القرآن في سياقات تبدو فيها من مصطلحات السياسة العامة اكثر من كونها معتقدا شخصيا او امتثالا فالفتن تعني عدم الرضا اكثر مما تعني الخروج للمعارضة[74].

أفكار برنارد لويس المذكورة سابقا لا تخرج عن المنحى العام للتراث الاستشراقي ومواقفه المعروفة من القضايا المطروحة لكن برنارد لويس لا يذكر اجتهادات المسلمين حول المواضيع المذكورة على امتداد تاريخهم وعندما يشير إليهم عرضا لا يوثق كلامه ولا ينقل التنوع الحقيقي لآراء المسلمين المنسجمة في خطوطها العريضة مع روح الدين.

---

[73] في كتاب لغة السياسة في الإسلام؛ ص145

[74] نفسه، ص146

من دراسات برنارد لويس المنشورة والمترجمة والتي تتقاطع فيها مواقفه من السياسة والمرأة والمواطنة دراسة عن: في دراسة لبرنارد لويس حول الإسلام وغير المسلمين:

Persee Bernard Lewis l islam et les non musulmans[75]

يقول فيها برنارد لويس أن هناك: ثلاثة مستويات لعدم المساواة في الإسلام:

1-السيد /العبد .

2- الرجل/المرأة.

3-المؤمن /الكافر.

ويرى أنّ: الكافر هو الوحيد الذي يختار وضعيته ملاحظا أن علاقة النّبي كانت طيّبة نسبيّا مع المسيحيين لكنّها انقلبت لاحقا.

العلمانية هي الحلّ للخروج من أزمة الإسلام والنّساء هي الفئة الأكثر تضررا من الإسلام واليهود هم المظلومين في الإسلام، ذلك يصل برنارد لويس بهذه المصادرات إلى أنّ: إنقاذ الشرق الأوسط يكون بالإعتماد على ركائز ثلاثة: اسرائيل وتركيا والنساء. اسرائيل هي واحة العلم والديمقراطية حسب برنارد لويس في كتاباته وتركيا التي خصص لها وقتا ثمينا في الإطلاع ودراسة مخطوطات دولتها الكبرى كما اهتم بتركيا الحديثة أما المرأة فهو الموضوع الذي تجمع عليه الدراسات الاستشراقية كدليل على عدم إنسانية الإسلام.

يرى برنارد لويس أن قاعدة لا إكراه في الدين التي حملها الدين الإسلامي هي قاعدة تفسر ضد التسامح.

يعترف برنارد لويس أن وضعية اليهود كانت أرحم في العالم الإسلامي منها في العالم المسيحي ويعترف أن اضطهاد اليهود في العالم الإسلامي هو الاستثناء وإن كان وسط هذا العسل القليل الكثير من التضمينات السلبية لموقف الإسلام والفقه الإسلامي من الآخر. فهو يشير في كتاباته إلى دور اليهود في الحضارة الإسلامية وبالتالي كأن حاجة المسلمين لليهود هي السبب وراء تلك الوضعية.

---

[75]:Bernard Lewis/ L'islam et les non-musulmans Annales. Économies, Sociétés, Civilisations Année 1980 Volume 35 N 3 pp. 784-800 Fait partie d'un numéro thématique : Recherches sur l'Islam : histoire et anthropologie

يرى برنارد لويس أن المسلمين ينظرون لغير المسلم باعتباره معاندا يعرف الحق ويعاديه . ويرى أن العبد في الإسلام يمكن أن يتحرر من قهر العبودية إذا تحرر من الرق بفضل سيده وغير المسلم يمكن أن يخرج من التمييز السلبي باعتناقه الإسلام أما المرأة فهي الفئة المحكوم عليها بالقهر الأبدي في الدين الإسلامي.

برنارد لويس قرأ التاريخ الإسلامي واطلع على مخطوطات مهمة في مقر آخر الإمبراطوريات الإسلامية التي عرفت تواجدا كثيفا لغير المسلمين وقرأ برنارد لويس ما يتعلق ببعض الجوانب الفقهية (التشريعية والقانونية) الخاصّة بالمرأة والرقيق بعض ما قرأه متوفر بسخاء في الكتب الالكترونية على مواقع اسلامية جادة.

الاستخدام المغرض للتراث الإسلامي عادة استشراقية وشيطنة الاستشراق دون تفكيك خطابه وآلياته المنهجية كانت عادة المسلمين في مرحلة اختلال التوازن.

اليوم المكتبة الإسلامية تراكم البحوث الجادة حول انتاج المستشرقين ولكن بالموازاة يجب الانتباه إلى أن التراث الإسلامي فيه الكثير من البؤر الملغمة التي تحتاج إلى جهود العقول الرزينة التي تعمل ضمن استراتيجية مدروسة بدقة لحماية الدين وتحصين المؤمنين.

من الأمثلة على هذه الجهود ما نبه إليه عبد الصبور شاهين بقوله: "وعيب كتابنا الذين تعرّضوا لتاريخ القرآن أنهم يغمضون أعينهم عن أسئلة كثيرة تثيرها دراسات الاستشراق ويسوقون حديثهم في ثوب تقريري يفترض في قارئيه دائما التسليم بكل ما يقال. وآفة المستشرقين أنهم يسوقون مجرد الإحتمالات العقلية مساق الحقائق المسلمة ويقيسون الماضي الذي لم يكن يوما جزءا من تاريخهم وبالتالي لم يكن من مكونات ضمائرهم بمقياس حاضرهم مع تباين المكان والزمان والعقلية والروح وآية ذلك أنهم يغضون أبصارم عن الطابع الميتافيزيقي الذي نشأت في ظله أحداث التاريخ القرآني على عهد النبوة ويرفضون مناهج المسلمين في نقد الأخبار ورواتها[76]

[76] عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن، ط.3، دار نهضة مصر، 2007، ص8-9 .

ولو أن هؤلاء المستشرقين قيدوا محاولاتهم بمناهج النقد الإسلامية في انتقاء الأخبار والرواة لما خالفت أحكامهم أحكامنا ولكتبوا للقرآن تاريخا نموذجيا فيه الكثير من الصواب والقليل من الزلل. ولو أن كتابنا اتبعوا طريقتهم في البحث والافتراض والبرهنة والاستنتاج مع التزامهم بالمناهج الأصلية في نقد الروايات والرواة في فهم التاريخ مبلغا بعيدا. ولكن هكذا جرت الأمور ما بين استهانة واستسهال.

ويبين عبد الصبور شاهين أبعاد مشكلة توفر المخطوطات: المصادر التي يمكن أن تتخذ نقطة انطلاق في بحث عن مشكلات تاريخ القرآن لابد أن تتوفر مطبوعة كانت أو مخطوطة والمذبوع نادر الوجود والمخطوط أغلبه مفقود والمادة المتاحة لا تكفي لإعطائنا نماذج معبرة تمام التعبير عن حقيقة المشكلة وعناصرها فأية أحكام تصدر ستكون عرضة للإنتقاص كلما جد في المجال جديد[77].

محاور الدراسات حول القرآن واسعة ودقيقة وتحتاج إلى مستوى عالي من توظيف لآليات خاصة لم يصل اليها المستشرقون ولا المسلمون اليوم.

والمسلمون مطالبون بملاحقة ما ينتجه المستشرقون لأنه يحتل مكانة متقدمة في مرجعيات دراسة الإسلام في العالم ومطالبون أيضا بملاحقة المخطوطات والاجتهادات الصلبة من المسلمين لتقييمها والبناء عليها.

القرآن في الدراسات الاستشراقية الألمانية والفرنسية مازال يقدم بنفس المصادرات المعروفة[78]، مع تجديد في المناهج لكن مواضيع القرآن في استشراق أقوى دولة في العالم لم تعد مركزية خصوصا مع تفضيل دراسة الإسلام السياسي في موقعه تحت الأرض أوفوقها.

---

[77] تاريخ القرآن، ص9 – 10 .

[78] جهود علماء المسلمين في دراسة الكتابات الاستشراقية حول القرآن الكريم: رصد وراقي؛ إعداد علي بن إبراهيم النملة

برنارد لويس الوجه الذي تصدره الآلة الاعلامية الكبيرة والمنابر الأكاديمية كصاحب الإمتياز في الحديث عن الإسلام لم يهتم بالقرآن إلا ضمن توظيف متحيز يخدم أفكارا مسبقة عن الإسلام والمسلمين خلاصتها عدم توافق الإسلام مع الحداثة وعدم إمكانية تأقلم الإسلام مع متطلبات الديمقراطية.

نحن إذن أمام: ظاهرة جديدة ظاهرة أكاديمية وسياسية هي الاستشراق الإعلامي الجديد . مركز هذا الاستشراق الولايات المتحدة والبحث عن القرآن في مركز هذا الاستشراق لا يكون في الدراسات المستقلة فقط ولكن أيضا في ثنايا الكتب وفي التصريحات واللقاءات الإعلامية والمحاضرات أمام الطلبة والإعلاميين وصناع الرأي العام وأصحاب القرار.

الإحالات عند برنارد لويس غير مهمة والرصانة التي عرف بها تيار كبير من الاستشراق الكلاسيكي غائبة أمام حضور مكثف وتصدير مدروس.

رغم أن هناك جديد في الدراسات حول القرآن في فرنسا وألمانيا إلا أن الأولوية في الإنتشار المؤثر هو للولايات المتحدة ذات التأثير الإعلامي الكوني على خلاف الاستشراق الكلاسيكي الذي كان دائما محدود الإنتشار وموضوع القرآن بالنسبة لبرنارد لويس ليس من الأولويات لذلك لا أثر حقيقي لموضوع القرآن الكريم في مؤلفاته وبالتالي تغيرت خارطة وتضاريس أدبيات الاستشراق الجديد بوجهه الإعلامي أو ما سمي الاستشراق الإعلامي الذي هو أوسع انتشارا وأكثر تأثيرا .

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد إبراهيم خضر: الإسلام والكونغرس حقائق ووثائق حول ما أسماه الأمريكيون بحركة الأصولية الإسلامية، ط1، القاهرة: دار المعارف الثقافية ودار النصر، 1994.
2. إسماعيل أحمد الطحان: تاريخ القرآن بين تساهل المسلمين وشبهات المستشرقين، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، (د.ت.)
3. آصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام ترجمة مازن مطبقاني: الرياض، مركز الفكر المعاصر، 2013
4. أمنة الجبلاوي: الإسلام المبكر الاستشراق الأنجوسكسوني الجديد: باتريسيا كرون ومايكل كوك أنموذجا، كولونيا، منشورات الجمل، 2008 .
5. برنارد لويس –ادوارد سعيد، الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، بيروت، دار الجيل، 1994.
6. كاري لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياساته: الصراع على تفسير الشرق الأوسط، ترجمة شريف يونس، ط.2، دار الشروق، 2008
7. عبد الرحمان بدوي: دفاع عن القرآن ضد منتقديه: ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، (د.ت)
8. عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، ط. 3 جديدة ومنقحة ومزيدة، دار العلم للملايين، 1993
9. عبد الرزاق بن اسماعيل هرماس: الدراسات القرآنية في جامعات أمريكا الشمالية: النشأة والمسار والتمويل والاستقلالية الأكاديمية، (د.ت) .
10. عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالنجليزية: دراسة نقدية؛ ترجمة وتقديم قاسم السامرائي، جامعة الإمام محمد آل سعود الإسلامية، 1991
11. عبد الله عبد الرحمان الوهيبي: حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، الرياض، مكتبة البيان، 1435
12. علي بن ابراهيم النملة: إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، الرياض: مكتبة الملك فهد، 1416،
13. علي بن ابراهيم النملة: المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، الرياض، مكتبة الملك فهد، 2003 .
14. مازن مطبقاني: بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، ط.1، 1420هـ/ 1999 م.
15. محمد جلاء ادريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، القاهرة: دار العربي للنشر والتوزيع، 1995/1416
16. محمد عبد الرحيم الزيني: كتاب الاستشراق اليهودي رؤية موضوعية، القاهرة: دار اليقين، 2011، ص265.
17. معتز الخطيب: الإسلام والإرهاب في الفكر الغربي: النماذج التفسيرية وخلفياتها، وحدة الدراسات المستقبلية، مكتبة الإسكندرية، 2012
18. يوشع صادق: تدريس العلوم الإسلامية بالجامعات الأمريكية نقلا عن مازن مطبقاني: حقيقة المعرفة وأهدافها ووسائل الحصول عليها، مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق، (د.ت.)
19. مازن مطبقاني أنجز: منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، رسالة دكتوراه في الاستشراق الحديث والمعاصر بكلية الدعوة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1414هـ .
20. عبد الرزاق هرماس: الدراسات القرآنية عند المستشرقين، مجلة البحوث والدراسات القرآنية التابعة لجمع الملك فهد، ع. 6، السنة الثالثة.

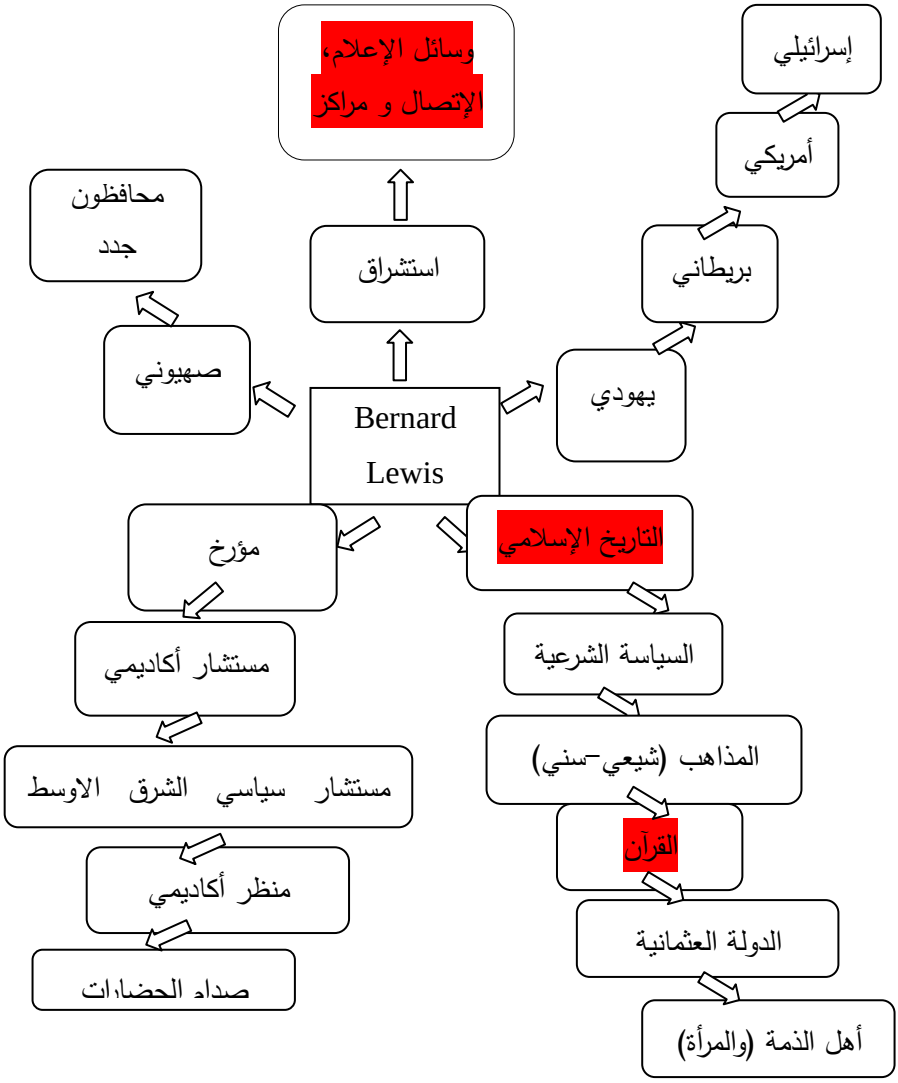
وسائل الإعلام، الإتصال و مراكز
إسرائيلي
أمريكي
محافظون جدد
استشراق
بريطاني
صهيوني
Bernard Lewis
يهودي
مؤرخ
التاريخ الإسلامي
مستشار أكاديمي
السياسة الشرعية
مستشار سياسي الشرق الاوسط
المذاهب (شيعي–سني)
منظر أكاديمي
القرآن
صدام الحضارات
الدولة العثمانية
أهل الذمة (والمرأة)

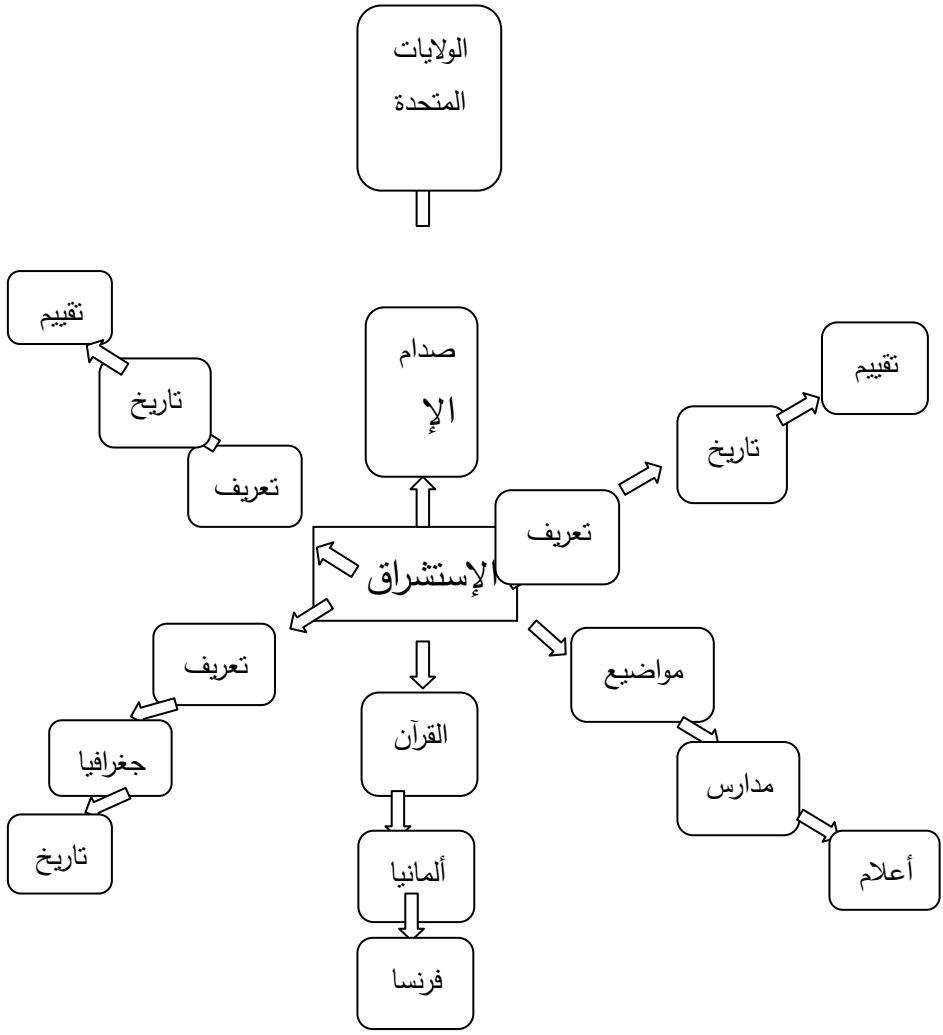
الولايات
المتحدة
صدام
الإ
تقييم
تاريخ
تعريف
الإستشراق
تعريف
تاريخ
تقييم
تعريف
جغرافيا
تاريخ
القرآن
ألمانيا
فرنسا
مواضيع
مدارس
أعلام